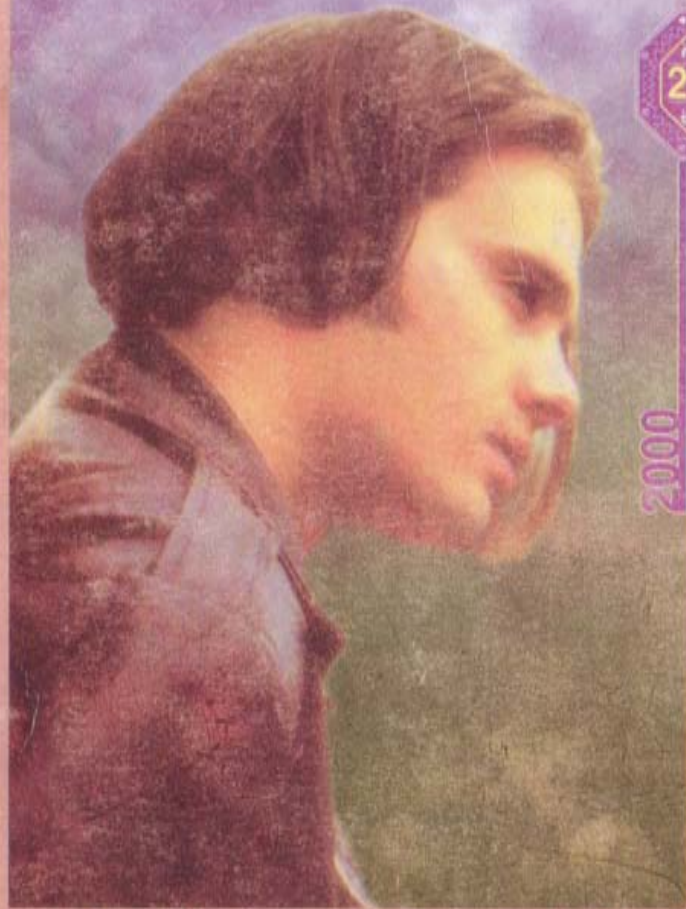


روائع الأدب العالمي للناشرين



مكتبة  
2000  
الإسيرة

2000

مهرجان القراءة للجميع

دافيد كوبرفيلد



الهيئة المصرية  
للكتاب

تتميز بـ  
ديكتاتور



## سلسله جدران المعرفة

تحتوى السلسله الثانية على ( ١١ ) كتاب جداد ، يطرحوا لأول مرة فى ثوب  
ألكترونى لكبار المثقفين والأدباء. من بينهم كتب لأستاذ هيكى ، وأنيس منصور ،  
وتشارلز ديكنز وبعض الأعمال العلمية .  
بالإضافة الى مجموعة من المقالات المختارة من بعض الكتب القيمة. ( تجدون  
فهرس الكتب الصادرة فى آخر هذا الكتاب... من فضلك أضغط على مفتاح **end**  
على يمين الكيبورد ، للوصول إليها) .

و حتى يمكنك الأبحار فى الكتاب بسهولة ، ويسر . وفرنا لك فهرس لكل كتاب .  
تجده على أقصى اليسار ( أضغط على كلمة **Book Marks** ) فى برنامج  
الأكروبت .

\* كما أننا نوجه شكر خاص الى كل من ساعدنا وأرسل لنا اقتراح او نقد  
أو تشجيع ، سوء من خلال الايميل او على صفحات المنتديات أو من خلال  
الرسائل الخاصة أو على الماسنجر 📧

واخيراً ، نحب أن نعلمكم ، اذا كان أى شخص لديه الرغبة فى المشاركة فى هذا  
المشروع حتى يكون متجدد باستمرار ، ولا يتوقف ، يتفضل بمراسلتنا ... لمزيد  
من التفاصيل يمكنك التواصل معنا [theknowledge\\_walls@yahoo.com](mailto:theknowledge_walls@yahoo.com)

جدران المعرفة

[http://www.geocities.com/theknowledge\\_walls](http://www.geocities.com/theknowledge_walls)

# داڤيد كوبرڤيلد

## المؤلف

تتميز جميع أعمال تشارلس ديكنز ، الأديب الانجليزى العظيم ، بحلاوة الأسلوب السهل الجذاب ، الذى يشد القارئ من بداية العمل حتى نهايته ، كما تتميز بالحبكة الروائية التى تجعل القارئ يحس بطعم « الحدوتة » . ولهذا فقد اشتهر ديكنز بأنه الأديب الذى يحبه بسطاء العالم . . . ذلك لأن جميع أعماله الأدبية معروفة ومحبوبة لدى قراء الأدب فى جميع انحاء العالم ، بعد أن تمت ترجمتها الى أكثر من خمسين لغة من اللغات التى تتكلمها الشعوب المختلفة .

---

تأليف : تشارلز ديكنز  
ترجمة : مختار السويفى  
مراجعة : محمد العزب موسى

ولد تشارلس ديكنز فى « لاندبورت بورتسى » فى انجلترا سنة ١٨١٢ ٠٠ وعاش طفولة بائسة ، لأن أباه كان يعمل فى وظيفة متواضعة ويعول أسرة كبيرة العدد .

ولهذا فقد اضطر لترك المدرسة وهو لم يزل صبيا صغيرا ٠٠ والحقوه بعمل شاق بأجر قليل حتى يشترك فى اعادة الأسرة .

وكانت تجارب هذه الطفولة الشقية ذات تأثير عظيم فى نفسه ، وتركت انطباعات انسانية عميقة فى حسه ووجدانه .

وقد كتب تشارلس ديكنز عن هذه الانطباعات والتجارب المريرة المؤلمة التى مر بها اثناء طفولته ٠٠ فى العديد من قصصه ورواياته التى ألفها عن أبطال من الأطفال الصغار الذين عانوا الكثير من العذاب والضياع بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التى كانت سائدة فى انجلترا فى عصره .

وتجلى عظمته فى أنه بالرغم من هذا الشقاء الذى كان يعانيه فى طفولته ، فقد كان ينتهز أوقات فراغه من عمله الشاق ، وينكب على القراءة والاطلاع على الكتب ٠٠ كما كان يحرص على التجول وحيدا فى الأحياء الفقيرة بمدينة لندن ، حيث يعيش الناس حياة بائسة ، خارجة على القانون فى أغلب الأحوال .

وفى العديد من قصصه ورواياته ، وصف ديكنز هذه الأحياء الفقيرة بكل تفاصيلها وبكل المأسى التى كانت تدور فيها .

وعندما وصل الى سن العشرين ، تمكنت الأسرة من الحاقه باحدى المدارس ليكمل تعليمه ٠٠

وفى نفس الوقت كان يعمل مراسلا لحدى الجرائد المحلية الصغيرة لقاء أجر متواضع قليل . وقد تفانى فى هذا العمل الصحفى الذى كان بمثابة تمرين له على حرفة الأدب .

كذلك فقد أتاح له هذا العمل الصحفى أن يتأمل مستطعا فى أحوال الناس على مختلف مستوياتهم

الوقت نفسه أن تستزيد من الاستمتاع بأعماله . فتعال  
معنا الى أعماله التي أصدرناها لك ضمن هذه  
السلسلة . وهى :

- أوليفر تويست
- الآمال الكبرى
- حكاية مدينتين
- دافيد كوبرفيلد
- أوقات عصيبة
- مذكرات بيكويك

وقضى تشارلس ديكنز معظم حياته فى كتابة  
المقالات وتأليف القصص والروايات والقاء المحاضرات  
وكان يدعو باستمرار فى غالبية هذه الأعمال الى  
ضرورة الاصلاح الاجتماعى ، والى تدعيم « المؤسسات  
الخيرية والصحية » التى ترعى الفقراء من الناس .

وآمن تشارلس ديكنز بأن جميع الأحوال السيئة

الاجتماعية والأخلاقية ، فخرج بالعديد من التجارب  
الانسانية التى وسعت من أفقه وحسه الأدبى .

وفى سن الرابعة والعشرين ( سنة ١٨٣٦ ) أصدر  
تشارلس ديكنز أولى رواياته الأدبية « مذكرات  
بيكويك » . وقد لاقت هذه الرواية نجاحا ساحقا ،  
وجعلته من أكثر الأدباء الانجليز شعبية وشهرة .

ثم ازدادت شهرته فى انجلترا وخارج انجلترا  
عندما صدرت رواياته العظيمة الأخرى تباعا . .

ولقد حرصنا منذ بداية ظهور هذه السلسلة من  
«روائع الأدب العالمى للناشئين» أن نقدم لك يا عزيزى  
القارئ أعمال هذا الأديب العظيم الصادق الذى امتلأ  
قلبه بالمشاعر الانسانية ومواساة البائسين والمعذبين فى  
الحياة ، والذى تتفجر رواياته بأسلوب سهل بسيط ، بكل  
مافى هذه الحياة من ألم وأمل . .

وعلى هذا فإذا كنت تريد معرفة المزيد من المعلومات  
عن تاريخ حياة هذا الأديب العالمى الشهير . . وتريد فى

قابلة للإصلاح . ولهذا فقد سخر قلمه البليغ للدعوة  
الى تخليص المجتمع البشرى مما يحيط به من شرور  
وأوضاع اجتماعية غير عادلة .

وفى سنة ١٨٧٠ مات تشارلس ديكنز بعد أن ترك  
للإنسانية هذا الكنز الهائل من الأعمال الأدبية  
العظيمة .

« المترجم »

الجزء الأول

---

البيت

## ١ - كيف كان مولدى

اسمى دافيد كوبرفيلد . . وهانذا اكتب لكم قصة  
حياتى . .

ولدت فى بلاندرستون . وقد مات أبى قبل مولدى  
بفترة قصيرة .

وفى احدى الأمسيات ، كانت أمى جالسة قرب  
نار المدفأة ، وكانت حزينة على مصيرها ومصير طفلها  
اليتيم البائس .

ولحت أمى مس بيتسى وهى تسير خارج سور



مس تروتود .

الحديقة . وكانت مس بيتسى تسير متمهلة تجاه باب البيت . وبدلا من أن تدق الجرس ، دست أنفها لتتنظر الى داخل البيت من خلال النافذة .

ومس بيتسى هي عمه أبى ، ولذلك فقد كانت تعتبر بالنسبة لى عمتى الكبرى . وكان اسمها الحقيقى مس بيتسى تروتود . وكانت تعيش مع خادام واحد فى كوخ مفوض جوار البحر . وكانت قد تزوجت من قبل ، ولكن زوجها كان رجلا سيئا ، لذلك فقد طردته .

وكانت عمتى على علاقة طيبة مع أبى . ولكنها غضبت عليه حين تزوج أمى . وكانت عمتى تدعوها دائما باسم « اللعبة الغبية » . ولهذا السبب تشاجرت مع أبى ولم تلتق به بعد ذلك اطلاقا .

وعندما رأت أمى مس بيتسى تروتود وهى تطل من خارج النافذة ، قامت بسرعة وفتحت باب البيت لتستقبلها .

– ألسنت أنت مسز كوبرفيلد ؟



فقالتم أمى :

- نعم .. أنا هى .. تفضلى بالدخول .

ودخلتم مس بيتسى . وجلست السيدتان معا . ثم بدأت أمى فى البكاء ، فاستاءتم مس بيتسى وقالتم لأمى :

- أوه .. أوه ! .. لاتفعلى ذلك !

ولكن أمى استمرت فى البكاء . وعندئذ وضعت مس بيتسى يديها برفق حول وجه أمى ، وقالتم لها برفق :

- يبدو أنك مازلت طفلة صغيرة .. يجب أن تتناولى بعض الشاى .. ما اسم البنتم ؟ ..

فقالتم أمى :

- لا أعرف أن كنت حاملا فى نكر أم أنثى ..

- أقصد البنتم الخادمة التى تعمل عندك ..

- أه .. خادمتى اسمها بيجوتى .

فقامتم مس بيتسى باستدعاء الخادمة ، وطلبت منها احضار بعض الشاى .. ثم التفتتم الى أمى وقالتم لها :

- نعود الى الحديث عن الجنين الذى مازلت حملينه .. انى أرغب فى أن يكون أنثى .. ولابد أن يكون أنثى .. وأنا أطلب منك أن تطلقى عليها اسم « بيتسى تروتوود كوبرفيلد » . وأعدك بأن أكون صديقة لها .. وعلى فكرة ، هل تعرفين شيئا عن الطبخ وامسك الحسابات والاشراف على ادارة منزل .. ؟

فقالتم أمى :

- لا أعرف كثيرا عن ذلك .. ولكننى أرغب فى تعلم هذه الأشياء .

ثم شرعت أمى فى البكاء مرة أخرى . فقالتم عمفى :

وعندئذ قال الطبيب :

- آه .. لقد ولدت ذكرا !

ولم تنطق عمتى بكلمة واحدة . ولكنها هبت واقفة  
واسرعت بالخروج من البيت .. ولم تعد اليه بعد ذلك  
أبدا .. وهكذا كان مولدى .. أنا دافيد كوبرفيلد .. !

- كفى عن البكاء .. حتى لاتمرضى وحتى لاتتأثر  
بمرضك الطفلة التى ستلدونها .

وعندما أحضرت الخادمة بيجوتى الشاى ..  
لاحظت ان امى متعبة ، فذهبت على الفور لاحتضار  
الطبيب . وبمجرد وصول الطبيب ، وكان اسمه  
مستر شيليب ، صعد على الفور الى غرفة امى .

ومرت عدة ساعات الى أن ظهر\*الطبيب مرة  
أخرى نازلا على السلم . فأسرعت اليه عمتى وسالته فى  
لهفة :

- هاه يادكتور .. كيف حالها ؟

فقال الطبيب :

- مسز كوبرفيلد فى حالة طيبة :

- ولكنى اسأل عن حال المولودة ..

كذلك منظر البيت من الخارج ، حيث كانت تبدو نوافذ  
غرفة النوم ٠٠ وكذلك اذكر منظر حديقة البيت والسور  
المرتفع الذى كان يحيط بها ٠ وفى تلك الحديقة كانت  
هناك مجموعة من أشجار الفواكه ٠ ومازلت اذكر  
كيف كانت أمى تقوم بجمع الثمار فى سلة كانت  
تحملها ٠

وكنت أنا وأمى نخشى قليلا من الخادمة بيجوتى  
وفى احدى الأمسيات كنت جالسا مع بيجوتى فى غرفة  
المعيشة بجوار المدفأة ٠٠ وكنت اقرأ لها أحد الكتب ٠٠  
وكنت متعبا لدرجة أنى لم أعد قادرا على الاحتفاظ بعينى  
مفتوحتين ٠٠ ومع ذلك فقد كنت لاحظ ابرتها وهى  
تدخل فى القماش وتخرج منه فى حركات رتيبة ٠  
وتطلعت عندئذ الى وجهها ٠٠ وكانت تبدو فى نظرى  
جميلة ٠

وسالته فجأة :

- بيجوتى ٠٠ هل تزوجت من قبل ٠٠ ؟

فردت بسرعة لفتت انتباهى :

## ٢ - وبدأت أدرك الأشياء

ومن الذكريات المبكرة التى مازلت اذكرها وجه  
أمى وشعرها الجميل ٠٠ أما بيجوتى الخادمة  
فلا اذكر من ملامحها سوى عينيها السوداوين  
وخدودها الحمراء مثل لون التفاح ٠٠ واذكر المطبخ  
والدجاج الكثير الذى كان يجرى فى حوش البيت ٠  
وكانت الدجاجات تبدو لى فى تلك الأيام كما لو كانت  
اضخم منى ٠٠

ومازلت اذكر غرفة المعيشة والجلوس ، حيث كانت  
أمى وبيجوتى تجلسان فى كل مساء ٠٠ ومازلت اذكر



في طفولتي .

- لماذا يا دافيد .. وما الذي جعلك تفكر في موضوع الزواج ؟

فعاودت سؤالها من جديد :

- اقصد .. ألم تتزوجي من قبل ؟ .. فأنت سيدة جميلة جدا .. أليس كذلك !؟

ومرت فترة صامت قصيرة ، وعاودت بيجوتي الخياطة بابرتها وهي تقول :

- أنا جميلة !؟ .. لا يا عزيزي الصغير !

ولكني تساءات مرة أخرى :

- بيجوتي .. اذا كنت قد تزوجت رجلا ما ، ثم مات هذا الرجل .. ألا يصبح في مقدورك أن تتزوجي رجلا آخر .. أليس كذلك يا بيجوتي .. !؟

فقالت مترددة :

- بعض الناس يرغبون في ذلك .. وبالنسبة لي فاني لا أرى ضرورة لذلك .. ان وجهات نظر الناس تختلف بالنسبة لهذا الموضوع .. !

وانحنى أمى وقبلتنى . وعندئذ قال الجنتلمان :

- ياعزيزى الصغير . . . كم أنت محظوظ !

ثم وضع يده على رأسى ، فوضعت يدى على يده وأزحقتها .

فقال الرجل وهو يقبل يد أمى :

- ان حبه لك لا يدهشنى !

ولكنى أصبت بالدهشة وغضبت من ذلك . ولكن الرجل هينانى قائلاً :

- تصبح على خير ياعزيزى الصغير !

فرددت تحيته ، ولكنى لم أسلم عليه يدا بيد . وعندما استدار لينصرف التفت الى . . . وكان يبدو بالنسبة لى رجلاً سيئ المنظر . ولم أشعر نحوه بأى حساس من الحب .

وذهبنا الى غرفة المعيشة . وقالت بيجوتسى التى كانت تقف منتصبية فى وسط الغرفة :

- وماهى وجهة نظرك انت يابيجوتسى . . . ؟

وتمهلت بيجوتسى قليلاً قبل ان ترد :

- وجهة نظرى هى ان تستمر فيما كنت تقراه . . .

ولاحظت عندئذ ان صوتها كان يبدو غريباً . فنظرت اليها مستعظفاً . وقلت :

- ألسنت غاضبية منى يابيجوتسى . . . ؟

فقامت على الفور ، وقبلت جبهتى وقالت :

- لا ياعزيزى . . . ولكنى أرغب فى ان تسمعنى الكثير عن تلك الاشياء التى كنت تقرأها لى . . .

وعلى هذا ، فقد وأصلت القراءة . . .

وبعد فترة سمعنا جرس الباب ، فذهبنا لنفتحه . . . كانت أمى تبدو فى غاية الجمال ، وقد عادت الى البيت ومعها رجل كنت قد رأيته من قبل . . . انه الجنتلمان الذى أوصلها الى البيت عندما خرجت من الكنيسة يوم الأحد الماضى . . . وكان اسمه : مستر ماردستون . . .

فصاحت أمى :

- أوه .. انك تدفعينسى الى الجنون .. كيف  
تجسرين على الحديث معى بمثل هذه القسوة ؟ .. انت  
تعرفين تماما انى بدون أصدقاء يهتمون بى أو أهتم  
بهم !

فقال بيجوتى على الفور :

- هذا هو السبب فيما أحدثك فيه .. لا يجب  
ان تفعلى ذلك .. لا يجب !

- وماذا أفعل اذا كان البعض يحبونى .. انى  
لا أستطيع أن أصدده .. ولا أستطيع أن أجعل من نفسى  
امراة قبيحة .. !

واتجهت أمى نحوى وهى تقول بعطف :

- عزيزى دافيد .. انها تقول انى لا أحبك .. !

فصاحت بيجوتى قائلة :

- انى لم أقل ذلك اطلاقا !

- أرجو أن تكونى قد أمضيت أمسية طيبة يامسر  
كوبرفيلد .

فقال أمى :

- شكرا لك .. كانت أمسية طيبة جدا .. !

وقالت بيجوتى :

- ان رؤية الغريباء أمر يبعث على السرور فى  
بعض الأحيان .

فقال أمى بارتياح :

- تماما .. !

وجلست على أحد المقاعد ، وسرعان ما استغرقت  
فى النوم . ولكنى سرعان ما تنبتهت مستيقظا مرة  
أخرى . ورأيت أمى وبيجوتى جالستين . ويدور بينهما  
حديث متواصل .. وكانت عيونهما مغرورقة بالدموع .  
وكانت بيجوتى تقول :

- ان مستر دافيد كوبرفيلد لا يجب هذا الرجل !

- لا .. بل قلته .. قلته .. فهل أنا أم سيئة بالنسبة لك يا دافيد ؟ .. هل أنا قاسية عليك أو غير شفوقة بك .. انى احبك يا دافيد .. اليس كذلك .. 19

ثم بدأنا نبكى جميعا .. وذهبت الى السرير وبدأت استغرق فى النوم وأنا أحس بأن عيني مبللتان بالدموع .

وفى يوم الأحد التالى ، خرجت أمى من الكنيسة ومعها الجنتلمان ، وأخذا يتمشيان سويا صوب البيت . وكان الرجل يريد أن يرى زهورنا المزروعة فى حديقة البيت ، وطلب من أمى مستأذنا فى أن يقطف زهرة .

وعاد الرجل الى بيتنا بعد ذلك مرات ومرات . وقد اعتدت على رؤيته ، ولكنى مع ذلك لم أكن أحبه .

وفى صباح أحد الأيام ، كنت مع أمى فى حديقة البيت حين وصل مستر ماردستون راكبا على حصان . وقال انه ينوى زيارة اصدقاء له موجودين فى مركب شراعى بمنطقة اويستوفت . وارسلتنى أمى الى بيجوتى بالدور العلوى .. ومن هناك كانت بيجوتى تنظر من

النافذة ، ورات أمى ومعها الجنتلمان وهما يسيران فى الطريق .. وغضبت بيجوتى من هذا المنظر ، فأخذت تمشط شعري بعنف وبطريقة المتنى ..

وفى اليوم التالى ، أو ربما بعد ذلك قليلا .. طلبت منى بيجوتى أن اذهب معها لزيارة أخيها .. وكانت أمى آنئذ خارج البيت بينما كنت جالسا مع بيجوتى فى غرفة المعيشة بجوار المدفأة ..

نظرت بيجوتى الى وجهى عدة مرات . وكانت تفتح فمها كما لو كانت تريد أن تتكلم ، ولكنها كانت تغلقه على الفور وتظل صامتة . ومع ذلك فقد قالت أخيرا :

- مستر دافيد .. هل ترغب فى الذهاب معى لزيارة أخى فى يارماوث .. ونبقى هناك لمدة اسبوعين .. 19

فسالتها :

- هل أخوك رجل طيب يا بيجوتى .. ؟

وعندما تحركت العربة خارجة من البوابة ٠٠ جرت  
أمي خلفها ، وطلبت من السائق أن يتوقف لتتمكن من  
تقبيلي مرة أخرى ٠٠

ونظرت خلفي ٠٠ فرأيت انها مازالت واقفة على  
الطريق ٠٠ ثم رأيت مستر ماردستون وهو قادم  
نحوها ٠ وكان يبدو غاضبا عليها بسبب بكائها على  
فراقى ٠٠ !

- نعم ٠٠ انه رجل طيب ٠٠ وفي يارماوث ستري  
البحر والمراكب والسفن والصيادين والرمال ٠٠ وهناك  
ولد صغير اسمه هام يمكنك أن تلعب معه !

**وتساءلت :**

- ولكن ماذا ستقول أمي ٠٠ ؟

- أوه ٠٠ ستدعنا نذهب الى هناك ٠٠ وسأطلب  
منها ذلك بمجرد عودتها الى البيت ٠٠ انها ستبقى مع  
مسز جراير ولن تكون وحدها ٠٠

وهكذا تم ترتيب كل شيء ٠٠ ومرت أيام قليلة قبل  
أن يحل موعد مغادرتي للبيت ٠ وركبت أنا وبيجوتى  
عربة صغيرة مخصصة لنقل المسافرين وامتعتهم ٠٠

ومازلت أذكر حتى الآن كم كنت شغوفة بمغادرة  
البيت ٠٠ وأحسست ساعتئذ كما لو كنت اغادره الى  
الأبد ٠٠

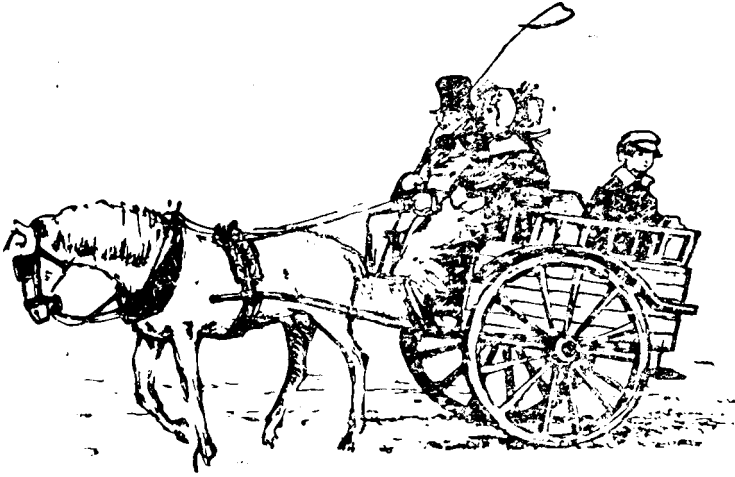
وإذكر تماما كيف غمرتنى أمي بالقبلات عند بوابة  
البيت ٠٠ وبدأت أبكى ٠٠ وبدأت أمي تبكى أيضا ٠٠



### ٣ - زيارة لمستر بيجوتى

كان الحصان الذى يجر العربة أكسل حصان فى العالم ، فقد كان يسير ببطء شديد وقد أحنى رأسه الى أسفل . وعلى طول الطريق كانت العربة تدخل الى بعض الحواري الضيقة لتسلم صندوقا فى أحد المنازل ، أو تسلم سريرا فى منزل آخر .

وكانت الخادمة بيجوتى تحمل على ركبتيها ربطة بها الكثير من انواع الطعام . . وقد أكلنا حتى شبعنا من الأكل ، ونمنا حتى شبعنا من النوم . ولكن الرحلة



عربة السفر

كانت طويلة وشاقة ومجهدة . . . وكم فرحت حين وصلنا الى يارماوت .

كانت ضواحي المدينة اراضى واسعة منبسطة . . . وكان البحر يبدو واضحا من خلال صفوف البيوت المتناثرة هنا وهناك وفى كل مكان ، لدرجة يصعب معها معرفة أين تنتهى المدينة ، وأين يبدأ البحر . . .

وسارت العربة عبر شارع تفوح منه رائحة السمك ، ثم توقفت قرب حانة . وعندئذ صاحبت بيجوتى :

- هامو هام . . . كم أصبح كبيرا هذا الفتى . . . !  
وبالفعل كان فتى يافعا ضخما ، تطول قامته الى نحو ستة أقدام ، ولكن وجهه كان يبدو كوجه طفل تعلوه خصلات من شعر مجعد .

كان هام يقف خارج الحانة منتظرا وصولنا . وسرعان ما حملنى على ظهره وحمل صندوقى تحت ذراعه . وحملت بيجوتى صندوقا آخر . وسرنا عبر عدة حارات ارضها مغطاة بالرمال . وتجاوزنا البيوت

التي يسكنها بناؤو السفن والمراكب . . . ثم البيوت التي يسكنها صناع الحبال . . . ثم جميع البيوت والمحلات الأخرى التي يسكنها أو يعمل بها مختلف أنواع الصناع والحرفيين الذين يعملون فى مختلف الأعمال والصناعات المتعلقة بالسفن . . . واخيرا وصلنا الى مكان واسع مفتوح ، أرضه مغطاة بالرمال .

وهنا قال هام :

- هامو بيتنا يا دافيد . . . !

ونظرت الى مختلف أركان المكان . . . ولكنى لم أر بيتا على الاطلاق . . . ولم يكن هناك سوى مركب كبير أسود اللون ، تطل من أعلاه انبوبة من الحديد يخرج منها الدخان . . . وفيما عدا ذلك لم يكن هناك أى نوع من أنواع البيوت فى ذلك المكان . فتساءلت مندهشا :

- هل تقصد هذا الشيء الذى يبدو كما لو كان قاربا . . . !

وقال هام :

- نعم .. هذا بيتنا .. !

لقد سررت كثيرا من منظر هذا البيت العجيب من الخارج . فقد كان الباب يبدو مشقوقا فى جدار القارب . كما شقت أيضا بضع فتحات تستعمل كنوافذ صغيرة فى كل من جانبي القارب . وكان أعلاه مغطى بسقف من الخشب .. !

وإزداد سرورى حين تأكدت من أن هذا البيت العجيب كان قاربا حقيقيا كثيرا ما كان يمخر عباب البحار ، ولم يقصد بناؤه أن يستعمل كبيت فى أى وقت من الأوقات .. ومع ذلك فكم كان ظريفا أن أعيث فى قارب مرتكز على الأرض وغير طاف على سطح المياه .. !

دخلنا البيت ، وكان نظيفاً جدا من الداخل .. كانت هناك منضدة وساعة كبيرة معلقة على الجدار وبجوارها بعض الرسوم والصور . وكانت هناك مجموعة من المقاعد ومن الصناديق المستخدمة كمقاعد .

ثم فتحت بيجوتى بابا صغيرا يؤدى الى حجرة

صغيرة خصصت لنومى .. كانت حجرة لطيفة تقع بمؤخرة القارب .. حوائطها بيضاء .. وفيها مرآة محاطة بإطار من أصداف القواقع .

وكانت رائحة السمك تملأ هواء البيت كله . وأخبرتني بيجوتى أن أخاها يعمل فى صيد القواقع .

وقد استقبلتنا بداخل البيت سيده فى غاية الأدب اسمها مسز جاميدج .. كما كانت هناك بنت صغيرة اسمها اميلى .. فرت هاربة واختبأت عندما رأتني . وتناولنا الطعام .. وكان سمكا .. !

ثم ظهر بعد ذلك رجل له شعر كثيف ولكن اللون يغطى رأسه وفوديه وخديه وذقنه .. وقام الرجل بتقبيل بيجوتى بحرارة .. فقد كان أخاها مستر بيجوتى .

كان رجلا طيبا .. وقال لى بصوت طيب :

- هوحيا بك عندنا يامستر دافيد .. انى فخور بزيارتك لنا .. وأرجو أن تكون سعيدا معها ( وأشار



مستر بيجوتى .

الى مسز جاميدج ) . ومع هام . . ومع اميلى  
الصغيرة !

وبعد ذلك تركنا وذهب ليفتسل . . وعندما عاد ،  
كان وجهه اكثر احمرارا . . مثل لون القوقعة الذى  
يتحول الى اللون الأحمر حين تغمر فى الماء .

وفى المساء جلسنا جميعا جوار المدفأة . . وعلمت  
ان هام ليس ابنا لمستر بيجوتى ، ولكنه ابن شقيقه الذى  
مات غريقا فى البحر . . كما علمت ان اميلى الصغيرة  
بنت صهر مستر بيجوتى الذى مات ايضا . . اما مسز  
جاميدج فقد كانت ارملة لصديقه مستر جاميدج الذى  
كان يعمل معه فى نفس القارب ، ولكنه غرق فى البحر  
منذ فترة طويلة ، ولم يعد لمسز جاميدج اى ماوى  
سوى بيت صديق زوجها المستر بيجوتى ، فعاشت معه  
فى نفس البيت .

وعندما توجهت للنوم . . كنت اسمع صوت الرياح  
مختلطا بصوت أمواج البحر . . وحلمت بأن هذا

البيت القارب أخذ يشق طريقه فى البحر الواسع ..  
وأن مستر بيجوتى كان القبطان !

وفى صباح اليوم التالى خرجت لأتمشى على  
الشاطئ .. وكانت مع اميلى . وسألتها :

- اعتقد أنك تحبين البحر .. ١٩

فأجابت على الفور :

- لا .. انى أخاف منه .. لقد رأيته وهو يحطم  
قاربا كبيرا الى قطع صغيرة .. انه جبار وقاس على  
رجالنا .. !

وظللنا نسير سويا الى أن وصلنا الى رصيف  
ممتد كاللسان بداخل البحر مخصص لرسو السفن  
والقوارب الكبيرة .. وظلت اميلى تسير وحدها  
فوق هذا اللسان حتى وصلت الى حافته النهائية عند  
المياه العميقة . ثم أخذت تجرى عائدة . فقلت لها  
متهشما :

- لقد قلت لى منذ لحظات أنك تخافين البحر ..  
وهأنذا أراك لاتخافين منه ..

فقالت اميلى :

- انى أخاف منه عندما تهب العواصف .. ولا  
أخاف منه عندما يكون هادئا .. مثل حالته الآن ..

لذلك فقد ضحكت من خوفى عليها حين كانت عند  
حافة الرصيف عند المياه العميقة .. ومع ذلك فقد  
شعرت فى بعض الاوقات فى حياتى المستقبلية التى  
عشتها فيما بعد ، انه كان من الأفضل لو انها قد  
سقطت فى البحر فى تلك المرة .

لقد أحببت اميلى الصغيرة .. كانت مجرد طفلة ..  
وكننت مجرد ولد صغير .. ولكن هناك شيئا فى غاية  
الجمال ينبثق دائما من ذلك الحب النقى البسيط الذى  
يربط أحيانا بين الأطفال الصغار .

كنا نتمشى دائما على رمال شاطئه يارماوث ..  
وكنا نقضى هناك الساعات تلو الساعات . وقد لاحظت



بيجوتى ومسز جاميدج مدى سعادتنا ٠٠ وتهامسنا  
علينا :

- اليسا جميلين وهما يلعبان معا ٠٠ ؟!

وحين كان مستر بيجوتى يرانا معا ٠٠ انا  
واميلي ٠٠ كان يبتسم خلف غليونه الموضوع فى فمه .

وقد لاحظت ان مسز جاميدج لم تكن سعيدة فى  
كل الاحيان ٠٠ فعندما ذهب مستر بيجوتى فى احدى  
الامسيات ليسهر مع بعض اصدقائه ، اعتل مزاج  
مستر جاميدج واخذت تقول :

- انى وحيدة ٠٠ وكل الاشياء ضدى ٠٠

ثم اخذت تشكو من شدة البرد . فقالت لها بيجوتى :

- ان البرد كان شديدا طوال اليوم ٠٠ لقد شعرنا

كلنا به ٠٠

فقالت مسز جاميدج :

- ولكنى اشعر بهذا البرد الشديد اكثر من كل

الناس !

فقال مستر بيجوتى ضاحكا :

- تقولين انك السبب الذى دفعنى للخروج ؟ ..  
لم يكن هناك سبب يدفعنى للخروج سوى رغبتى فى  
فعل ذلك .

فقالت مسز جاميدج وهى تذهب استعدادا للنوم :

- انى وحيدة .. ولا يحبنى احد .. وأشعر  
بالأشياء أكثر مما يشعر بها الناس الآخرون .. لقد  
فشلت فى جعل نفسى مثلما أريد أن تكون .. وفشلت  
فى جعل هذا البيت مريحا كما يجب .. !

وعندئذ قالت لى بيجوتى :

- انها تفكر فى الرجل القديم .

فتساءلت مندهشا :

- ومن هو هذا الرجل القديم ؟ !

فقالت ببساطة :

- زوجها الذى مات !

وعندما تناولنا طعام العشاء فى تلك الأمسية ..  
كانت الأسماك صغيرة ومملوءة بالشوك ، وأغلبها كان  
قد احترق اثناء طهيهِ . وجلسنا صامتين يلفنا شعور  
شبيه بالحزن . أما مسز جاميدج فقد انخرطت فى  
البكاء وهى تقول :

- انى اشعر بالحزن أكثر منكم جميعا .. !

وعندما عاد مستر بيجوتى الى البيت فى الساعة  
التاسعة مساء .. كانت مسز جاميدج لم تزل تبكى  
وهى جالسة فى أحد أركان البيت اندهش مستر بيجوتى  
وسالها :

- ماذا فى الأمر .. ولماذا تبكين هكذا .. كونى  
مبتهجة .. !

فقالت :

- لقد ذهبت لتسهر خارج البيت .. وانى أسفة  
لذلك .. وأشعر بانى السبب الذى دفعك الى الخروج  
من بيتك .. !

ومر الأسبوعان ، وانتهت زيارتي ، وحلت ساعة  
الرحيل .. وشعرت بالحزن لاضطراري الى الافتراق  
عن اميلى الصغيرة ..

وعندما كنا نتوجه الى المكان الذى ستقوم منه عربة  
السفر ، سرت أنا واميلى نراعا فى ذراع .. وعندما  
تحركت العربة شعرت بفراغ فى قلبى .. برغم أنى  
كنت مسرورا بأنى أصبحت فى طريق العودة الى امى .

وأعلنت سرورى هذا لبيجوتى .. ولكنها لم تكن  
مسرورة لذلك ، بل كانت فى منتهى الحزن !

وأخيرا وصلنا الى البيت .. ومازلت الى الآن  
أتذكر ذلك الجو البارد الذى كان يلفه ، وتلك السحابات  
الداكنة المحملة بالأمطار التى كانت تعلوه ..

وفتح الباب .. فاندفعت جاريا صوبه والفرح  
يفغرنى . ولكنى فوجئت بوجود خادمة غريبة  
لا أعرفها . فسالت بيجوتى :

- ما هذا يا بيجوتى .. ألم تعد امى الى البيت  
بعد .. ؟ !

فقالت بيجوتى متنهدة وبتردد :

- نعم .. لقد عادت يا دافيد .. ولكن انتظر ..

فقلت وأنا أشعر باضطراب شديد :

- ماذا حدث ؟ .. لماذا لم تحضر امى لتستقبلنى  
عند باب البيت ؟ .. هل ماتت ؟ .. لا .. لا يمكن ان  
تكون قد ماتت .. اليس كذلك ؟ !

وقالت بيجوتى :

- لا .. لم تمت .. وكان يجب على أن أخبرك  
بهذا الأمر من قبل .. لقد أصبح لك الآن أب جديد ! ..  
تعال لتراه ! ..

وشحب لون وجهى .. وهى تتوجه بى صوب  
غرفة المعيشة .. وهناك تركتنى ..

وعند أحد جانبي المدفأة كانت تجلس امى .. وعند  
الجانب الآخر ، كان يجلس مستر ماردستون ! ..



## ٤ - وبدأت متاعبي

كانوا قد نقلوا حجرة نومي الى حجرة اخرى ..  
وبمجرد ان رقدت على سريري ، سحبت الغطاء فوق  
راسي ، واستغرقت في البكاء حتى اخذني النوم ..

واستيقظت على صوت يقول : هاهو !! .. وشعرت  
بيد تكشف الغطاء من فوق راسي .. ورايت امي  
وبيجوتي وقد جاءتا لتريناني .. وقالت امي :

- دافيد .. ما الحكاية .. ؟

فقلت وانا ادير وجهي عنها :

- لا شيء .. !

والتفتت امي نحو بيجوتي وقالت لها بحدة :

- انت التي افسدته .. لقد حدثته بكلام ضدي ..  
أوه يا دافيد .. ايها الولد السيء .. أوه يا بيجوتي ..  
ايها المرأة السيئة .. هل اواجه كل متاعب ومصاعب  
العالم لمجرد اني تزوجت .. اليس من حقى ان اكون  
سعيدة .. ؟

وهنا شعرت بيد تهزني .. لم تكن يد امي ولا يد  
بيجوتي .. كانت يد مستر ماردستون الذي كان يقول  
لامي في نفس الوقت :

- ما هذا ياعزيزتي كلارا ؟ .. هل نسيت ماقلته  
لك ؟ .. يجب ان تكوني حازمة !!

فقال امي كما لو كانت تعتذر :

- انا آسفة يا ادوارد .. يصعب على ان اكون  
حازمة !

فهمس في اذنها ببضع كلمات .. وقد عرفت فيما

- كلارا يا عزيزتى .. لن تشعرى بالمتاعب التى  
يسببها لك هذا الولد مرة أخرى !!

وبعد أن تناولنا طعام العشاء فى ذلك اليوم ،  
توقفت احدى العربات جوار باب بيتنا .. ونزلت منها  
مس ماردستون .. أخت مستر ماردستون .. وكانت  
تحمل معها صندوقين أسودين لهما مقابض حديدية ،  
وتضع نقودها فى حقيبة صغيرة مصنوعة من الحديد ..  
لقد كانت امرأة حديدية !!

نظرت الى شذرا .. وقالت وهى تسلم على بيدها :

- انى لا أحب معظم الأولاد ..

وقال مستر ماردستون :

- هذا ولد عديم الأخلاق !

وفى صباح اليوم التالى تجمعنا جميعا حول مائدة  
الافطار .. وسمعت مس ماردستون تقول لأمى :

- والآن يا كلارا .. لقد جئت لمساعدتك .. انك  
جميلة جدا .. وليست لديك أية فكرة عما أستطيع أن

بعد انه مسيطر على أمى تماما ويستطيع أن يجعلها  
تفعل أى شىء يرغب فيه .. وقال لأمى بحزم :

- انزلى يا عزيزتى الى الدور الأسفل .. ودعيني  
أنا ودافيد لكى نتفاهم سويا ..

وعندما خرجت أمى وبيجوتى من الحجرة ، قال لى  
مستر ماردستون :

- دافيد .. هل تعلم كيف أروض حصانا ..  
أو كيف أجعل كلبا يطيعنى ؟ .. !

- لا .. لا أعرف !

- انى أضربه .. انى أقول لنفسى : سوف  
انتصر على هذا الحيوان .. سوف أضربه .. وأضرب  
بشدة كل جزء فى جسده .. هل تفهم ما أقوله لك ..  
نعم .. يبدو أنك قد فهمت .. هيا .. اغسل وجهك  
وانزل معى الى الدور الأسفل .. !

وعندما وصلنا الى غرفة المعيشة بالدور الأسفل ،  
قال مستر ماردستون لأمى :

عاجزة عن القيام بأعمال هذا البيت .. وانى على يقين  
من انى كنت أدير هذا البيت ادارة حسنة قبل أن  
تنزوج .. اسأل بيجوتى .. ا

وهنا قالت اخته مس ماردستون بحزم :

- ادوارد .. سأرحل غدا !

فرد عليها اخوها بحزم اكثر :

- مس جين ماردستون .. الزمى الصمت !!

والتفت الى أمى وقال لها :

- كلارا .. عندما تزوجتك كنت أمل فى أن أمنحك

القدرة على الحزم والانضباط .. لأنك تحتاجين الى  
ذلك .. وعندما تعطفت أختى جين ماردستون وجساءت  
لتساعدنى فى ذلك .. فقد كنت أتوقع أن تشكرىها على  
هذا العطف .. أما هذا الكلام الذى تقولينه .. فانه  
يسبب الى ويغير مشاعرى ..

فقالته أمى وهى تبكى :

أعمله من أجلك .. واذا اعطيسى جميع مفاتيح البيت .  
فسوف أستطيع أن اتدبر جميع شئون هذا البيت من  
الآن فصاعدا ..

وعلى الفور بدأت أمى فى البكاء .. فقال لها  
مستر ماردستون :

- كلارا ! .. انى مندهش لذلك .. !

فقالته أمى وهى تحاول أن تكفكف دمعها :

- انك تتحدث عن « الحزم » وعن « الانضباط » ..  
ولكنك تتناقض مع نفسك .. من المؤلم جدا ان اكون  
فى « بيتى » ولا ... ..

فقاطعتها على الفور :

- « بيتى » ! .. هل قلت « بيتى » ؟ .. !

فقالته أمى مستدركة وقد بدا عليها الخوف :

- أقصد « بيتنا » .. من المؤلم جدا ان أبدو غير  
قادرة على القيام بالاشراف على ادارة بيتنا .. او



مستر ماردستون واخته

– أوه .. لا تقل مثل ذلك .. انى شاكرة لها ..  
ودعنا نصبح أصدقاء .. انى لا أستطيع أن أعيش  
بين ناس لا يعطفون على ..

وعندئذ التفت مستر ماردستون الى وقال :

– دافيد .. هذا كلام لا يناسك .. غادر الغرفة  
فورا .. !

وأغرورقت، عيناى بالدموع لدرجة كنت لا أستطيع  
معها رؤية الباب .

وهكذا تولت مس ماردستون كل شئون البيت ..  
وإذا حدث أن نطقت أمى بكلمة أو أبدت أية فكرة أو  
ملاحظة ، فإن مس ماردستون كانت تفتح حقيبتها  
الحديدية على الفور ، وتبدو كما لو كانت ستعيد  
المفاتيح .. وعندئذ كانت أمى تخاف وتلزم الصمت .

وكان من المفروض أن تقوم أمى باعطاءى  
الدروس .. ولكن مستر ماردستون واخته يحضران  
دائما ساعة الدرس .. وينتهزان هذه الفرصة لتلقين  
أمى دروسا فى كيفية الحزم والانضباط ..

فى الماضى .. اى قبل أن تتزوج أمى .. كنت أتمتع بأوقات الدروس وأتعلمها بسهولة .. ولكن هذه الدروس أصبحت الآن - بحضور مستر ماردستون وأخته - شيئاً يبعث الخوف والألم : أصبحت محاكمة يومية محزنة لى ولأمى ..

وفى إحدى المرات .. تقدمت الى أمى ومعى الكتاب .. وسلمته لها مفتوحاً لى ترى كيف حفظت الدرس .. وبدأت فى تلاوة الدرس بسرعة قبل أن يطير من ذهنى .. ولكنى كنت مضطرباً بسبب حضور مستر ماردستون وأخته ، لذلك فقد أخطأت فى كلمة . وعندئذ نظر الى مستر ماردستون شذراً فأخطأت فى كلمتين .. فنظرت الى أخته مس ماردستون شذراً فنسيت على الفور ست أو سبع كلمات .. وكانت أمى تحاول أن تساعدنى ولكنها لم تجسر على فعل ذلك . وقالت لى :  
- أوه يادافيد ..

وهنا تدخل مستر ماردستون قائلاً لها :

- كلارا .. لا بد أن تكونى حازمة ومنضبطة مع

الولد .. لاتقولى له : أوه يادافيد .. بل انظرى للموضوع هكذا : هل حفظ هذا الولد درسه أم لا .. ؟

وقالت مس ماردستون على الفور :

- لا .. لم يحفظ درسه .

بينما قالت أمى :

- أخشى ألا يكون قد حفظه ..

فقالت مس ماردستون :

- اذن اعيدى اليه الكتاب ، وقولى له أن يحفظ درسه جيداً .

فقالت أمى بارتياح :

- هذا ماكنت أنوى أن أعمله بالفعل .. تعال يادافيد .. خذ الكتاب وحاول مرة ثانية .. ولا تكن غيبياً .. !

وحاولت مرة أخرى .. ولكنى فشلت فعمل مستر ماردستون حوكة تدل على نقاد الصبر وكذلك فعلت أخته .. بينما كانت أمى تحاول أن تحرك شفقتها

لتساعدنى · فشخطت فيها مس ماردستون صائحة :

- كلارا ·· !!

وعندئذ نهض مستر ماردستون من مقعده ·· وأخذ الكتاب ·· وضربنى به على رأسى ·· وألقى بى خارج الغرفة ·

هكذا كنت أتلقى دروسى يوما وراء يوم ·· وحتى عندما كنت أحفظ الدروس جيدا ·· كان مستر ماردستون وأخته يكلفانى بمزيد من الواجبات ·· وكانا لا يطيقان أن يريانى غير مكلف بواجب ·

وهكذا تبددت سعادتى ·· وأصبحت كثير الصمت ·· ومع ذلك فقد كانت سعادتى الوحيدة فى الأوقات التى اقصيها متفحصا الكتب التى تركها أبى ، والتى عثرت عليها فى حجرة مجاورة لحجرتى ·· عثرت على « روبنسون كروزو » وعلى كتب الرحلات والعديد من الكتب الأخرى ·· وكانت هذه الأوقات هى العزاء الوحيد الذى يساعدنى فى الهروب من شقائى وتعاستى ··

## ٥ - وضربنى ··

ذات صباح ، توجهت الى غرفة المعيشة ومعى كتاب الدروس ·· وكانت أمى تبدو قلقة ·· وكانت مس ماردستون تبدو حازمة ·· أما مستر ماردستون فكان يمسك فى يده عصا غليظة ·

والتفت مستر ماردستون الى أمى وقال لها :

- لا تهتمى كثيرا بهذا الأمر يا كلارا ·· فأنا نفسى ضربت كثيرا عندما كنت فى مثل سنه ··  
وقالت ماردستون مؤمنة على كلامه :  
- نعم ·· هذا صحيح ··

فسالتها امى :

- ولكن هل تعتقدين ان الضرب قد اصلح  
ادوارد ٠٠ ١٩

فردت عليها فورا :

- وهل تعتقدين ان الضرب كان يؤلمه ٠٠ ١٩

والتفت الى مستر ماردستون وقال لى وهو يمسك  
بالعصا :

- والآن يادافيد ٠٠ يجب ان تهتم بدروسك بقدر  
أكثر من المعتاد !

وفى الحقيقة ٠٠ فقد أصبحت كارها لاجبارى على  
تلقى دروسى بتلك الطرق المرعبة ٠٠ وكانت حالتى  
تزداد سوءا ٠٠ وأصبحت غير قادر على التذكر ٠٠  
ولاحظت ان امى قد بدأت تبكى ، فنظرت اليها مس  
ماردستون وشخضت فيها :

- كلارا ١٠

٦٤

فقالت امى كما لو كانت تبرر موقفها :

- يبدو انى لست على مايرام هذا اليوم ٠٠ !

فرد عليها مستر ماردستون قائلا :

- كلارا ٠٠ يبدو انك لست حازمة بقدر كاف لكى  
تتحملى المتاعب التى يسببها لك هذا الولد ٠٠

والتفت الى وقال :

- دافيد ٠٠ لا بد ان تصعد معى الى الدور  
العلوى ٠٠

وعندما كان يقودنى خارج باب الغرفة ، اندفعت  
امى نحوى ٠ ولكن مس ماردستون أمسكت بها وهددتها  
قائلة :

- كلارا ٠٠ كم أنت غبية !

وسمعت امى وهى تبكى بشدة بينما كنت أصعد  
الى الدور العلوى مع مستر ماردستون ٠ وعندئذ توسلت  
اليه وأنا ابكى :

وازداد احساسى بسوء حالتى .. واعتقدت انى قد  
ارتكبت شيئا فظيما .. واخذت افكر فيما ياترى  
سيقلونه بى .. هل سيرسلونى الى السجن .. ؟!

وشعرت بباب الغرفة وهو يفتح .. ودخلت مس  
ماردستون .. ووضعت على المائدة بعض الخبز و قليلا  
من اللبن .. ونظرت الى بحزم .. ثم خرجت واغلقت  
الباب مرة اخرى ..

- ارجوك ياسيدى .. اتوسل اليك الا تضربينى ..  
لقد بذلت كل جهدى فى حفظ دروسى .. ولكنى افقد  
القدرة على التعلم عندما تكون انت ومس ماردستون  
بالقرب منى !

وفجأة ، امسك براسى ووضعها تحت ذراعه ..  
فاضطرتت الى ان اعض يده .. وعندئذ بدأ يضربنى  
ضربا مبرحا كما لو كان يريد ان يقتلنى .. وكانت  
هناك ضجة كبرى .. فكلما استمر فى ضربى .. كلما  
كنت اصرخ بأعلى صوتى .. وبرغم كل هذه الضجة ،  
سمعت اقدام امى وبيجوتى وهما تصعدان لدرجات السلم  
وكانتا تبكيان وتصرخان بشدة .

وعندئذ توقف مستر ماردستون عن الضرب ..  
وخرج من الغرفة ، واغلق على بابها .. !

وبعد فترة ، بدأت اهبط .. واخذت اتصنت ، فلم  
اسمع فى البيت صوتا .. ونظرت الى وجهى فى  
المرآة .. كان احمر ومتورما فشعرت بالخوف ..



وفى اليوم الأخير ، سمعت صوتا يهمس باسمى  
فاقتربت من الباب وقلت مثلها :

- اهذه انت ياعزيزتى بيجوتى ٠٠ ؟ !

- نعم يادافيد ٠٠ وتكلم بصوت منخفض حتى  
لاسمعنا !

وكانت تقصد بذلك مس ماردستون بالطبع ٠٠  
وسالته بصوت منخفض :

- كيف حال امى ؟ ٠٠ هل هى غاضبة منى ٠٠ ؟ !

وسمعت نهضة بكاء بيجوتى وهى تقول :

- لا ٠٠ ليست غاضبة ٠٠ !

- وماذا سيفعلون بى ياعزيزتى بيجوتى ٠٠ ؟ هل  
تعرفين ؟ !

- نعم ٠٠ نعم ٠٠ سيرسلونك الى مدرسة قرب  
لندن .

- متى يا بيجوتى ٠٠ ؟

## ٦ - وأرسلونى الى المدرسة

واستيقظت صباح اليوم التالى نشطا وسعيدا ٠٠  
ولكنى سرعان ماتذكرت تلك التجربة المؤلمة التى  
عانيتها ومازلت اعانيها ٠٠ وخيل الى انهم ينون  
شنقى ٠٠ أو يفعلون بى أشياء اخرى لا اعرفها ٠٠

وظللت سجيناً فى تلك الغرفة لخمسة أيام متعاقبة .  
مرت كما لو كانت سنوات طويلة ٠٠ وكنت اتصنت على  
كل الأصوات التى تحدث فى البيت ٠٠ وقع الأقدام ٠٠  
وصوت الجرس عندما يديق ٠٠ وكل الأصوات الأخرى  
التي تحدث فى الشارع ٠٠

غدا ! ..

ثم وضعت بيجوتى فمها قرب ثقب مفتاح الباب ..  
وهمست بحنان :

– عزيزى دافيد .. لقد مر وقت طويل دون ان  
اراك .. ولم يكن ذلك بسبب انى لا احبك .. بل على  
العكس .. لقد امتنعت عن زيارتك لأن ذلك افضل بالنسبة  
لك وبالنسبة لأمك .. فانا اخشى غضب مستر ماردستون  
وأخته علينا جميعا .. وربما سيأتى اليوم الذى ستعرف  
فيه امك انى مخلصه لها وتعود من جديد لتضع رأسها  
فوق كتفى .. وأعدك بانى ساكتب لك يا عزيزى ..

واختنقت كلماتها بعد ان بدأت فى البكاء ..  
فقلت لها :

– شكرا لك يا عزيزتى بيجوتى .. وهل يمكنك  
أن تكتبى الى اخيك مستر بيجوتى والى اميلى الصغيرة  
لتطمئنهم على حالى .. وانى لست فى حالة سيئة  
كما قد يظنون .. وانى ارسل تحياتى وحبى لهم

جميعا .. خصوصا اميلى الصغيرة .. أرجوك أن  
تكتبى لهم بهذا ! ..  
ووعدتنى بيجوتى بذلك ..

وفى صباح اليوم التالى جاءت مس ماردستون  
وأخبرتني بأنهم قرروا ارسالى الى المدرسة .. وعندما  
توجهت معها الى مائدة الافطار .. رأيت أمى جالسة  
وقد احمرت عيناها من كثرة البكاء .. ومع ذلك فقد  
قالت

.. يا دافيد .. حاول ان تكون ولدا طيبا ..

لقد جعلوها تصدق انى ولد سييء .. وحاولت  
أن اتناول طعامى .. ولكن دموعى تساقطت على الخبز  
والزبد ..

وعندما وصلت العربة التى ستحملنى الى باب  
البيت ، وضعوا فيها صندوقى .. ولم تحضر بيجوتى  
لتوديعى .. وحضرت أمى ومعها مس ماردستون التى  
قالت لها بحزم :



- كلارا .. كوني حازمة !

فقالتمى طائعة :

- حاضر يا عزيزتى جين .. وداعا يا دافيد ..  
انت ذاهب لمصلحتك .. وداعا يا بنى .. وسوف تعود  
الى البيت فى فترة الاجازة .. وكن ولدا طيبا افضل  
من ذلك !

وعندما اغرورقت عيناها بالدموع . صاحتم فىها  
مس ماردستون :

- كلارا .. !

فقالتمى :

- نعم يا عزيزتى جين .. ليرعاك الله يا دافيد .. !  
وهنا اخذتمنى مس ماردستون وأجاستمنى فى  
العربة .. وبدأ الحصان الكسول يتحرك ببطء ..

الجزء الثاني

---

المدرسة

## ٧ - في الطريق الى المدرسة

وظللت أبكى الى أن ابتل مندبلى تماما من كثرة  
ما ذرقته من دموع .. وفجأة أوقف السائق العربية ،  
وتعجبت لماذا توقف .. ولكنى رأيت بيجوتى وهى تقفز  
الى داخل العربية وأخذت تقبلنى ..

وأعطتنى بعض أكياس من الورق مملوءة بالكعك ..  
كما أعطتنى كيسا صغيرا به بعض النقود .. ثم نزلت  
من العربية وأخذت تجرى .. وعندئذ بدأت العربية فى  
التحرك من جديد .

وبعد فترة توقفت عن البكاء .. ووضع السائق

مديلى فوق ظهر الحصان ليحف .. وفتحت كيس النقود ، فوجدت به ثلاثة شلنات لامعة براقه ، كما وجدت ورقة صغيرة مكتوب فيها : « الى دافيد .. مع حبي ! » .

### وسالت سائق العربية :

- هل سنظل هكذا حتى نصل الى هناك .. ؟

- اين « هناك » هذه .. ؟

- هناك .. الى لندن ..

- الى لندن ؟ .. ان هذا الحصان سيموت قطعا قبل ان يصل الى نصف الطريق الى هناك اننا سنذهب فقط الى يارماوث .. ومن هناك ستركب عربة سفر كبيرة ستأخذك الى لندن ..

كانت هذه خطبة كبيرة وطويلة بالنسبة الى مستر باركيس .. وهو اسم سائق العربية ..

واعطيته كمكة .. فوضمها فى فمه وابتلعها مرة واحدة . وسألنى بعد فترة :

- هل هى اننى صنعت هذا الكمك .. ؟

فقلت له :

- هل تقصد بيجوتى ياسيدى ؟ .. نعم هى التى صنعته .. وهى تقوم بكل اعمال الطبخ ..

واخذ مستر باركيس يحملق فى اذنى الحصان وهو مستغرق فى التفكير . ثم سألنى :

- هل لها زوج .. ؟

- لا ياسيدى .. انها غير متزوجة .

وظل يحملق فى اذنى الحصان ، ثم قال مرة اخرى :

- وهى التى تقوم بكل اعمال الطبخ .. ؟

- نعم ..

- اعتقد انك ستكتب لها مستقبلا ..

- نعم ساكتب لها ..

وعندئذ ادار مستر باركيس عينيه نحوى ونظر الى راجيا .

- هذا عشاء به كمية من الطعام أكثر من حاجة  
ولد صغير .. هل تدعنى أساعدك فيه .. دعنا نرى  
من يأكل أكثر من الآخر ! ..

وبالطبع فقد أكل الخادم أكثر منى .. أكل كل  
العشاء تقريبا .. وطلبت منه أن يحضر لى بعض  
الأوراق لأكتب رسالة الى بيجوتى . وكفبت :

« عزيزتى بيجوتى »

وصلت بالسلامة الى يامارث .. و « باركيس  
مستعد » .. أبلغى أمى بحبى .

المخلص لك والذي يحبك كثيرا .

دافيد .

ملحوظة : هو يقول انه حريص على أن تعرفى ان  
« باركيس مستعد » .

وسالنى الخادم :

- هل انت ذاهب الى المدرسة .. ؟

- عندما تكتب اليها .. قل لها ان « باركيس  
مستعد » (١) .

فتساءلت دون ان افهم قصده :

- باركيس مستعد ؟ .. هل هذه كل رسالتك .. ؟

فقال بهدوء وببطيء :

- نعم ..

- ولكنك يامستر باركيس سستمر ببيتنا غدا ..  
اليس من الأفضل أن تبلغها رسالتك بنفسك .. ؟

فقال بهدوء مرة اخرى :

- أبلغها بأن « باركيس مستعد » .. هذه هى كل  
رسالتى .

وعندما وصلنا الى يارماوث ، قالت السيدة التى  
تدير الحانة أن عشائى جاهز . واقتادتنى الى صالة  
واسعة . وأحضر الخادم عشائى وهو يقول :

(١) عبارة تعنى انه يعرض عليها الزواج به .

- جورج .. ان هذا الولد سينفجر من كثرة  
ما اكل .. !

وتحركت عربة السفر واخيرا وصلت الى لندن في  
صباح اليوم التالي .. وهناك كان ينتظرني أحد  
المدرسين الذين يعملون في المدرسة . كان اسمه مستر  
ميل . وقلت له اني لم أتناول افطاري .

فقال :

- سنشتري بعض الطعام .. وسوف اذهب لزيارة  
سيده عجز .. وستتناول طعام افطارك عندها ..

ومشينا مسافة قصيرة ، الى ان وصلنا الى أحد  
ملاجئ الفقراء والعجزة التي يبيتها بعض الأغنياء  
المحسنين لايواء المعوزين من الناس . ودخلت مع مستر  
ميل الى داخل الملجأ . وسمعت صوت سيده عجز  
تناديه :

- عزيزي شارلي !

وعرفت انها أم مستر ميل ..

- نعم ..

- وأين تقع هذه المدرسة .. ؟

- بالقرب من لندن .. هذا كل ما أعرفه عنها .

- أوه .. اني أسف لذلك !

فقلت مندهشا :

- لماذا .. ؟

- انها المدرسة التي يكسرون فيها ضلعين من صدر  
كل ولد !

ولم يسعدني هذا الكلام طبعاً ..

وبعد فترة وصلت عربة السفر الكبيرة الى باب  
الحانة الخارجى ، وأوصلتني السيدة التي تدير الحانة  
الى العربة وهي تنظر الى بدهشة وقالت :

- هل التهمت كل طعام العشاء دون أن يساعدك  
حد ..

ونادت على الخادم :



الأرض .. وكانت الجدران كلها ملوثة بالحبر كما لو  
كان السقف قد امطر حبرا .. وكانت رائحته كريهة  
لاتطاق .

وفي ذلك الفصل قضيت عدة أيام وحيدا .. ولم  
أكن أرى أحدا سوى مستر ميل ، فالأولاد لم يعودوا  
بعد من الأجازة ، كما أن مستر كريكل ناظر المدرسة  
مازال يقضى عطلته بعيدا على شاطئ البحر .

وكننت أتناول وجباتي مع مستر ميل فى صالة  
الطعام الواسعة الخالية . ثم نعود الى الفصل ..  
وينهمك هو فى الكتابة لفترة طويلة وعندما كان ينتهى  
من ذلك كان يخرج صفارته ويبدأ فى عزف الألحان  
الحزينة ..

أما أنا ، فكنت أبقى وقتى فى القراءة .. أو فى  
الاستماع الى تلك الألحان الحزينة .. وعندما كنت  
أتوجه للنوم كل مساء ، كنت أجهد نفسى بالبكاء حتى  
أتمكن من النوم وحدى فى تلك الحجرة الكبيرة الواسعة  
المطوأة بالأسرة الخالية ..

وبعد أن تناولنا افطارنا سويا، قالت السيدة العجوز  
لابنها :

- هل أحضرت صفارتك ياشارلى ؟  
وأخرج مستر ميل صفارته وبدأ يعزف لنا  
وكان أسوأ عزف سمعته فى حياتى ..

وبعد أن خرجنا من الملجأ ، ركبنا عربة سفر أخرى  
أوصلتنا الى بلا كهيث .

ثم سرنا مسافة طويلة حتى وصلنا الى بيت مبنى  
من الطوب وله باب علق عليه لافتة مكتوب عليها :  
« سالم هاوس » .

وفتح الباب . وظهر رجل له ساق خشبية .  
وقال له المدرس :

- هذا هو الولد الجديد .

كان « سالم هاوس » هذا عبارة عن مبنى مربع  
الشكل له مظهر حزين .. وقادنى الرجل الى أحد  
الفصول .. وهو مكان محزن وفارغ تماما وليس فيه  
أحد غيرى . وكانت هناك ثلاثة صفوف طويلة من مقاعد  
التلاميذ .. وقصاصات كثيرة من الورق متناثرة على

- ماه ٠٠ هاهو الجنتلمان الصغير الذى يعرض ٠٠  
لقد اخبرنى مستر ماردستون بانك تعرض ٠٠ انا اعرف  
مستر ماردستون جيدا ٠٠ انه رجل قوى الشخصية ٠٠  
وانا ايضا قوى الشخصية ٠٠ وعندما اقول انى سافعل  
شيئا ما فلا بد ان افعله ٠٠ !

وشعرت بخوف شديد ٠٠

وفى صباح اليوم التالى ، وصل مدرس آخر اسمه  
مستر شارب ٠ وكان تومى ترادلز اول العائدين من  
الاجازة من تلاميذ المدرسة ٠ ثم وصل بعد ذلك اولاد  
آخرون ٠

وعندما وصل ج ٠ ستيرفورت ، اخذونى اليه كما  
لو كانوا ياخذوننى الى القاضى ٠٠ كان جالسا تحت  
دروة فى فناء الملعب ٠٠ وهو اكبر الاولاد سنا ولذلك  
فقد كانوا يعتبرونه رئيسهم ٠ وكان يتمتع بذكاء خارق  
ومنظر حسن ٠

سالنى ستيرفورت :

- كم معك من النقود ٠٠ ؟

## ٨ - وقابلت العديد من الناس

واخذ الرجل ذو الساق الخشبية ينظف جميع  
الأركان بمبنى المدرسة ٠ وعلمت ان ناظر المدرسة مستر  
كريكل سيصل فى المساء ٠ وقبل ان يحل موعد نومى  
بقليل ، استدعانى الرجل ذو الساق الخشبية لمقابلة  
الناظر ٠

كان مستر كريكل بدينا ٠ وكان يجلس فى حجرته  
على مقعد ذى مساند جانبية ٠ وكانت زوجته مسز  
كزيكل وابنته مس كسريكل موجودتين بالحجرة ٠  
وبمجرد دخولى قال الناظر :

فقلت له على الفور :

- سبعة شلنات .

- اذن اعطهم لى .. سوف أحفظ هذه النقود من أجلك ..

وأعطيته النقود . فقال :

- ربما توافق على صرف بعض هذه النقود للاشتراك في شراء وليمة سنأكلها في حجرة النوم ..

فوافقت ..

وفي تلك الليلة ، انعقدت الوليمة في حجرة النوم ، وجلسنا جميعا نتسامر ونتحدث في ممس وعلمت الكثير من أخبار المدرسة وأسرارها .

علمت أن مستر كريكل ناظر المدرسة يضرب الأولاد بشدة وباستمرار .. وأنه لايعرف شيئا .. وأنه كان صاحب متجر صغير قبل أن يبدأ مشروع هذه المدرسة .. وعلمت انه لايجسر اطلاقا على ضرب ج . ستيرفورث .

وعلمت أيضا أن المدرسين مستر شارب ومستر ميل لايحصلان الا على أجر قليل .. كما علمت ان مسز كريكل زوجة الناظر معجبة جدا بستيرفورث .

وأخيرا قال لى ستيرفورث :

- تصبح على خير يا كوبرفيلد الصغير .. سوف أراك واعتنى بك !

فقلت له :

- شكرا لك .. انك شديد العطف !

في مذاكرة دروسى ٠٠ وكذلك كان مستر ميل يساعدى  
في المذاكرة ، وشعرت بأنه يحبني ويعطف على أكثر من  
الأولاد الآخرين

وكنت أتالم بشدة من المعاملة السيئة التي يمارسها  
ستيرفورت ضد مستر ميل ٠٠ فقد كان يعامله بدون  
احترام ، ويفعل كل شيء يؤذى مشاعره ويجرح  
احساساته ٠٠ وكان يحرض الأولاد الآخرين ويشجعهم  
على السخرية به .

وشعرت بأنى أخطأت خطأ كبيرا حين أخبرت  
ستيرفورت بأن أم مستر ميل سيدة عجوز تعيش في  
ملجأ للفقراء والمعزة ٠٠ فقد كنت أخشى أن يشيع  
ستيرفورت هذا الخبر بين الأولاد الآخرين لزيادة  
السخرية بمستر ميل وجرح مشاعره ٠٠

وهكذا مرت أيام الدراسة يوما وراء يوم ٠٠ الى  
أن جاء يوم سأظل أذكره طول حياتي .

كان يوم سبت ٠٠ وقد أجبرنا المطر المنهمر الى

## ٩ - لعام الدراسى الأول فى سالم هاوسى

بدأت الدراسة فى اليوم التالى . ومازالت أذكر  
الضجة الشديدة الصاخبة التي كانت تحدث فى حجرة  
الدراسة ، والسكون والصمت المفاجيء عند ظهور  
مستر كريكل .

ويبدو أن مستر كريكل كان يجد متعته الخاصة فى  
ضرب الأولاد ٠٠ وكان يضرب ترادلز أكثر من كل  
الأولاد الآخرين .

وواصل ستيرفورت حمايته لى . وكنت أحكى له  
ما أعرفه من القصص فى كل مساء ، وكان يساعدى

قضاء فترة بعد الظهر بداخل حجرة الدراسة . وكان  
مستر شارب قد انصرف ، وبقي معنا مستر ميل .

كان الأولاد يحدثون ضجيجا وصخباً أكثر من  
المعتاد . كانوا يجرون ويتقاذون هنا وهناك .  
ويضحكون . ويصرخون . ويغنون . ويرقصون .  
ثم أخذوا يتحلقون حول مستر ميل ويحلقون بأعينهم  
فيه . ويخرجون السننهم له . ويسخرون من ملابسه  
الفقيرة الرثة . ومن حذائه البالي المثقوب . ومن  
أمه . . !!

كان هذا شيئاً فظيماً ومؤلماً . وكان الأولاد  
يدورون حوله كما تدور الكلاب حول حيوان جريح .  
ومع ذلك ، فقد ظل مستر ميل جالساً في سكون وقد  
أسند رأسه على يده محاولاً القراءة في كتاب . أو  
لعله كان يتظاهر بأنه منهمك في القراءة .

ولكن فجأة ، قفز مستر ميل من مقعده وهب واقفاً  
وأخذ يصيح :

- اسكتوا جميعاً . ما هذا الذي تفعلون . .  
مامعناه . . من المستحيل أن أتحمل ذلك . . انكم تدفعونني  
إلى الجنون . . كيف تجرؤون على فعل ذلك يا أولاد !

والقى بالكتاب بعنف فوق مكتبه . .

وحل الصمت عندما توقف بعض الأولاد عن  
الاستمرار في تلك السخرية المريرة . . ولكن ستيرفورث  
وقف في آخر الفصل وأخذ يصفر . فقال مستر ميل :

- اسكت يا ستيرفورث !

ولكن ستيرفورث قال :

- اسكت أنت !

- اجلس !

- اجلس أنت !!

وضحك الكثير من الأولاد ، وشحب لون وجه  
مستر ميل وهو يقول :

- لقد رأيتك وأنت تحرض الأولاد ضدى وتغتهم  
على السخرية بى .. انك الولد المفضل لدى الناظر ..  
وأنت تستغل هذا المركز لتسخر وتشتم وتسب سيدا  
مثلى ..

**فقال ستيرفورث على الفور :**

- سيدا !؟ .. هل تظن نفسك سيدا !؟ .. انك  
مجرد شحاذ !!

وخيل لى أن ستيرفورث كان ينوى ضرب مستر  
ميل .. أو أن مستر ميل كان ينوى ضرب ستيرفورث ..  
وفجأة دخل مستر كريكل الى الحجرة وصاح :-

- ما هذا الذى يحدث ؟ ..

**فقال ستيرفورث :**

- كان يقول انى الولد المفضل لدى الناظر ..  
**وقال مستر ميل :**

- انه يستغل مركزه هذا ويسبنى ..

**فقال ستيرفورث :**

- لقد وصفته بأنه شحاذ .. وهو بالفعل شحاذ ..  
وابن شحاذة .. ان أمه تعيش فى ملجأ للفقراء  
والعجزة !

ونظر مستر ميل نحوى .. وأسند يده على كتفى ..  
**وهنا قال مستر كريكل :**

- والآن يامستر ميل .. اذا سمحت .. ان عليك  
ان تثبت لنا جميعا أن ما قاله ستيرفورث غير صحيح ..  
**فقال مستر ميل بانكسار :**

- لا .. انه على صواب .. لقد قال الحقيقة !

**وعندئذ قال مستر كريكل قراره :**

- اعتقد انك اخذت الطريق عندما جئت للعمل فى  
مدرستنا .. كان يجب أن تعمل فى مدرسة  
للشحاذين .. أنت مفصول .. وعليك أن تغادر  
المدرسة !

فقال مستر ميل وهو ينصرف :

- ستيرفورث .. اتعنى ان ياتى يوم تندم فيه وتحس بالعار مما فعلته معى فى هذا اليوم !

وجمع مستر ميل كتبه وصفارته وخرج ..

وهنا قال ترادلز لستيرفورث :

- انت الذى شتمته .. وتسببت ايضا فى فصله من العمل !

ومع ذلك فقد كان ستيرفورث محل اعجاب معظم الأولاد .

وفى ظهر أحد الأيام ، اخبرونى بان زوارا جاءوا ويريدون مقابلتى وفوجئت بوجود مستر بيجوتى وهام ، وقد جاء لزيارتى . وقال مستر بيجوتى عندما رأتى :

- لقد نضجت واصبحت كبيرا ..  
وسالته :

- كيف حال امى .. وكيف حال اميلى الصغيرة  
ومسز جاميدج .. ؟

- هم جميعا بخير وفى أحسن حال .. لقد  
أحضرت لك بعض القواقع والمحار ..

وعندما دخل ستيرفورث الى الحجرة قلت له :

- تعال لأعرفك با صدقائى .. هذان صديقان  
من يارماوث ويعملان فى القوارب .

فقال ستيرفورث :

- انى سعيد برؤيتكما .

وقلت :

- هل يمكن أن أصحب ستيرفورث معى عند  
زيارتكم فى يارماوث لكى يرى بيتكم .. انه بيت  
مصنوع من قارب كبير ياستيرفورث !

فقال مستر بيجوتى :

- أن بيتي ليس فرجة .. ولكنى أرحب بكمما  
بكل سرور فى هذا البيت ..

وهكذا مرت أيام الدراسة .. كل يوم منها كان  
يشبه ماسبقه وما يليه من أيام .. وانتهى العام  
الدراسى أخيرا ..

ومازلت الى الآن اذكر رحلتى الى يارماوث فى عربة  
السفر ..

## ١٠ - أيام الأجازة

ومن يارماوث ، ركبت عربة السفر الصغيرة التى  
يقودها مستر باركيس . وقلت له :

- تبدو فى حالة جيدة يا مستر باركيس .. لقد  
ارسلت رسالتك .

فقال بهدوء :

- ولكنى لم استلم حتى الآن ردا . ومازلت  
انتظر .

فسأله :

- وهل حدثتها فى ذلك ؟ ..



- لا ٠٠ وغليك أن تصادتها انت في هذا الموضوع ٠٠ قل لها : بيجوتى ٠٠ باركيس مازال ينتظر ريك ٠٠ فاذا سألتك ردى على ماذا فقل لها ان « باركيس مستعد » !

ثم سألتى بعد لحظة :

- قل لى ٠٠ ماهو اسمها الأول ؟

فقلت له :

- كلارا ٠٠ اسمها كلارا بيجوتى .

وكتب مستر باركيس هذا الاسم على أحد جانبي العربة .

وعندما وصلنا الى البيت . توقفت العربة أمام البوابة الخارجية ، وانزل مستر باركيس صندوق حاجياتى وتركنى ٠٠ وسرت تجاه الباب ، واتجهت مسرعا نحو غرفة المعيشة ٠٠ وهناك رأيت أمى جالسة ، وتحمل على ذراعيها طفلا رضيعا ٠٠ !

ناديت عليها ، فهبت واقفة ، واتجهت نحوى ، وقبلتنى وهى تقول :

- هذا أخوك يادافيد ٠٠ ياوالدى العزيز ٠٠ ياوالدى المسكين !

وجاءت بيجوتى مسرعة واحتضنتنى ٠٠ وكان مستر ماردستون وأخته مس ماردستون خارج البيت ٠٠ لذلك فقد جلسنا نحن الثلاثة نتناول عشاءنا جوار المدفأة . وعندما أخبرت بيجوتى بما قاله مستر باركيس ، أخذت تضحك ٠٠ وهنا تساءلت أمى :

- عما تحدثان ٠٠ ؟

فقالت بيجوتى :

- عن رجل غبى يريد أن يتزوجنى !

وقالت أمى :

- سيكون هذا زواجا مناسبا .

وقالت بيجوتى :

- لا ٠٠ لن أتزوجه حتى ولو كان مصنوعا كله من الذهب الخالص ٠٠ قل له يدافيد : انك لم تتكلم معها مر بل ٠٠ وقل له انه اذا حاول أن يكلمنى فسوف أصفعه على وجهه !

وعندما انتهينا من تناول العشاء ، جلسنا قرب نار المدفأة ٠ وقالت أمى مقسائلة :

- بيجوتى ٠٠ هل حقا تريدان أن تتزوجى ٠٠ ؟!

- أنا ؟ ٠٠ أنا لن أتزوج اطلاقا ٠٠

- لا تتركينى يا بيجوتى ٠٠ وابقى جوارى فأننا بحاجة اليك ٠٠ انى أشعر بقرب النهاية ٠٠

- أتركك ؟ ٠٠ هل هذا معقول ٠٠ سابقى معك الى أن أصبح سيده عجوزا لا أصلح لشيء ٠٠

وأخذت أحكى لهما مارايته وسمعتنه من حكايات المدرسة ٠٠ ولكن بيجوتى قالت فجأة وكانما تذكرت شيئا هاما :

- انى أتعجب ٠٠ ماهى اخبار عمه دافيد الكبرى ٠٠ مس بيتسى تروتوود ٠٠ ؟!

فقالت أمى :

- اعتقد انها مازالت تعيش فى كوخها قرب البحر ٠٠ ويبدو انها لم تعد راغبة فى مضايقتنا ٠

- ربما ستغفر الآن لدافيد حكاية انه ولد ولم يكن بنتا كما كانت تريد ٠٠ خصوصا بعد أن أصبح لدافيد أخا آخر ٠٠

وعندئذ بدأت أمى فى البكاء وقالت لبيجوتى بصوت حزين :

- لماذا تفكرين فى ارسال دافيد الى عمته الكبرى مس تروتوود ٠٠ لمجرد أنى ولدت له أخا ٠٠ ؟

وبدا شجار عاصف بين أمى وبيجوتى ، ولكنهما تصالحتا فى النهاية وغفرت كل منهما للآخرى ٠٠ وقالت أمى أن بيجوتى هى صديقتها الحقيقية المخلصة ٠

عطف نحوى .. وكانت تخشى أن أقول كلمة أو أفعل شيئاً يسبب المتاعب ..

ولهذا فقد عزلت نفسي فى حجرة نومى .. وكنت أقضى وقتى فى القراءة .. أو فى الجلوس فى المطبخ مع بيجوتى .. وعندما يكون مستر ماردستون وأخته موجودين .. كنت ألزم الصمت تماما ولا أنبس بكلمة ..

وقال مستر ماردستون انى ذو شخصية انعزالية كئيبة . ثم أضاف :

- وعليك ان تغير تلك الشخصية .. انك تتجنب الجلوس معنا فى غرفة المعيشة .. وتبقى دائما لو كنا مصابين بأمراض خطيرة ..

ولذلك فقد اضطررت أن أجلس صامتاً وحزينا فى غرفة المعيشة يوماً وراء يوم .. وكنت أتمنى حلول المساء حتى أتمكن من مغادرة الغرفة والتوجه الى غرفة نومى لأبقى وحيدا .. وبعيدا !

وسمعنا صوت عجالات احدى العربات وهى تتوقف عند باب البيت .. لقد وصل مستر ماردستون وأخته .. وعندما مد يده ليصافحنى .. نفس اليد التى عضضتها حين ضربينى .. رأيت علامة حمراء مكان العضة ..

وعندما كنت أحيى مس ماردستون وأصافحها بيدي ، سألتنى :

- ما هى مدة الأجازة ؟

فقلت لها :

- مدتها شهر واحد ..

وأحضرت مس ماردستون ورقة وقلم ، وكتبت أيام هذا الشهر يوماً يوماً .. وفى كل صباح كانت تشطب على كل يوم يمر ..

لم تكن أجازة سعيدة بأى حال .. وكان من الواضح تماما أن مستر ماردستون وأخته لا يطيقانى .. وفى حضورهما كانت أمى تخشى أن تبدر منها أية بادرة

وأخيراً انتهت أيام الأجازة .. وقالت مس  
ماردستون وهي تشطب آخر خاثة فى ورقتها :

- هامو اليوم الأخير !

ووصلت عربية مستر باركيس الى باب البيت ..  
ووضعت فيها صناديقي .. وعندما قبلتني أمى ، قالت  
لها مس ماردستون :

- كلرا ! .. كوني حازمة !!

وتحركت العربية ببطء ..

وعندما التقت خلفى .. رأيت أمى مازالت واقفة  
عند باب البيت حاملة على ذراعيها طفلها الرضيع ..  
وكانت هذه آخر مرة .. أرى فيها أمى على قيد  
الحياة .. !

## ١١ - وفقدت أمى .

وبعد نحو شهرين من عودتى الى سالم هاوس ..  
دخل مستر شارب الى حجرة الدراسة ، وطلب منى  
أن اذهب لمقابلة الناظر مستر كريكل .. واعتقدت أن  
هدية وصلتنى من بيجوتى .

كان مستر كريكل يتناول طعام افطاره .. وبيجواره  
تجلس زوجته وفى يدها خطاب مفتوح . وطالبت منى  
مسز كريكل أن أجلس فجلست . وقامت من مقعدها  
وجلست بجوارى . وقالت :

- هناك شىء أريد أن أخبرك به يابنى .. ان  
أمك مريضة جدا .. !

بكيت فورا وانهمرت دموعى .. ثم قالت مسز  
كريكل :

- كان مرضها خطيرا للغاية ..

وتوقعت كلماتها التالية :

- لقد ماتت !

وبعد ظهر اليوم التالى غادرت سالم هاوس .  
وعندما وصلت الى يارماوث لاستقل عربة مستر  
باركيس لاحظت أن مستر باركيس غير موجود .. وأن  
شابا بدينا أحمر الوجه قد حل محله ..

واستقبلتنى بيجوتى عند الباب .. ودخلت بن الى  
البيت وهى تبكى وتتحدث فى همس كما لو كانت تخشى  
أن توقظ سيدتها التى ماتت .

وفى غرفة المعيشة كان مستر مارديستون جالسا  
يبكى .. بينما انهمكت أخته فى الكتابة على بعض  
الأوراق .

وحضرنا جميعا دفن أمى .. ووقفنا طويلا عند  
قبرها ..

وفى مساء ذلك اليوم . جاءت بيجوتى الى حجرة  
نومى . وجلست بجوار سريرى . وقالت :

- لم تعد صحتها فى حالة جيدة منذ مدة طويلة ..  
ولم تكن سعيدة فى حياتها .. كانت تغنى لطفلهما  
الرضيع بنعموة وحزن .. وكانت خائفة بصفة مستمرة .  
بل وكان خوفها يزداد يوما بعد يوم .. وكانت بعض  
الكلمات القاسية التى توجه اليها أحيانا مثل الضربات  
الشديدة .. وفى احدى الليالى استدعتنى وقالت  
لى :

- بيجوتى ياعزيزتى .. انى أعتقد بأنى فى  
طريقي الى الموت .. لقد تعبت تماما من حياتى .. ولو  
كان الموت مثل النوم ، فابقى بجوارى حتى أنام ..  
ضعى يدك تحت رأسى وأديرى وجهتى  
نحوك .. أن وجهك يبدو بعيدا بعيدا .. وأنا أريده  
بقربى ..

وماتت .. كما لو كانت طفلا صغيرا تسلس النوم  
الى عينيه ..

لا يريدانك معهما في الوقت الحاضر .. واعتقد  
سيسمحان لك أن تذهب، معي ..

وبالفعل ، وافقت مس ماردستون على ذهابي مع  
بيجوتى ..

وعندما وصلت عربة مستر باركيس .. وضعنا  
فيها صناديقنا .. وطوال الطريق كان مستر باركيس  
يتصرف بأدب بالغ .. ولم يتكلم سوى كلمات قليلة  
وعندما وصلنا الى نهاية الرحلة فى يارماوث ، انتحى  
بى جانبا وسألنى :

- هل تعلم من هو المستعد ؟ .. « باركيس  
مستعد » ..

وبينما كنا نترجه فى الطريق الى بيت أخيها  
سألتنى بيجوتى :

- دافيد يا عزيزى .. ماذا تقول اذا أنا قبلت  
الزواج منه ؟

## ١٢ - بيجوتى تتزوج

وبعد فترة قصيرة من دفن أمى فى قبرها ..  
قامت مس ماردستون باستدعاء بيجوتى ، وأخبرتها  
بأنها لم تعد فى حاجة الى خدماتها ، وأن عليها أن  
تغادر البيت .

وقررت بيجوتى أن تذهب لتعيش فى بيت أخيها  
حتى تلتحق بعمل آخر مناسب . وقالت لى بيجوتى  
وهى تشرح الموضوع :

- والآن .. اعتقد ان مستر ماردستون وأخته



- من مستر باركيس ؟ ٠٠ اعتقد أن هذا سيكون  
أفضل شيء ٠٠ فسوف يكون لديك فى هذه الحالة عربة  
وحصان ٠٠ وتستطيعين دائما أن تحضرى لزيارتى ٠٠

ومرت الأيام فى بيت مستر بيجوتى ٠٠ أيام متماثلة  
كغيرها من الأيام التى مضت ٠٠ ولكن لم تعد - أنا  
وأميلى الصغيرة - نتمشى ونمرح على الرمال ٠٠ فقد  
انشغلت الآن بمذاكرة دروسها بالإضافة الى ماكانت  
تؤديه من أعمال البيت ٠٠

ولاشك فى أنها كانت تحبنى ٠٠ وتضحك لى  
وتداعبنى دائما ٠٠ لقد نضجت الآن ولم تعد طفلة  
صغيرة كما كانت من قبل ٠٠

وكان مستر باركيس يحضر كل مساء حاملا معه  
هدية لبيجوتى ٠٠ بعض الفواكه ٠٠ أو طير فى قفص .  
أو قطعة من اللحم ٠٠ أو أشياء أخرى غريبة .

وكان يأخذ بيجوتى للنزهة فى بعض الأحيان .  
وحيثما كانت تعود من تلك النزهات كانت تضحك  
وتضحك ٠٠

وفى احدى المرات صحبنا مستر باركيس - أنا  
واميلى وبيجرتى - فى عربته ٠٠ وعندما وصلنا الى  
الكنيسة توجه هر وبيجرتى الى الداخل وتركانا وحدنا  
بالعربة .

وبعد فترة خرجا من الكنيسة . وسألنى مستر  
باركيس :

- هل تذكر الاسم الذى كتبتنه على جانب العربة ٠٠  
لقد كان كلارا بيجرتى ٠٠ لقد تغير هذا الاسم الآن  
وأصبح : كلارا باركيس !

لقد تزوجا ١٠٠

الجزء الثالث

الشباب . .



## ١٣ - وخرجت الى العالم

حان الوقت بعد ذلك لكى أعود الى البيت ..  
وأخذنى باركيس فى عربته ، وكانت بيجوتى تركب  
معنا .. وعندما وصلنا ، انزلانى أمام البوابة وتركانى  
وحدى .. وأخذتنى الدهشة حين رأيت العربة تمضى  
فى طريقها آخذة معها • بيجوتى دون أن تنزل معى ••

وهكذا بدأت أكثر الفترات ظلاما وشقاء فى تاريخ  
حياتى .. فقد كان مستر مارديستون يكرهنى  
ولا يطيقنى ، وكذلك كانت أخته .. فلم يتحدثا معى  
على الإطلاق .. وعشت كالغريب فى بيتى ، وأصبحت

أفضل أن أعيش فى أية مدرسة مهما كانت صعبة الظروف والأحوال ، فهذا أفضل بكثير من الحياة بمثل هذا الشكل .

وكانت بيجوتى تحضر لزيارتى كل اسبوع .  
وكنت أقضى وقتى كله بين كتب القصص والروايات .  
وكنت اعتبر هذه الكتب خير أصدقائى .

وفى أحد الأيام وصل الى البيت رجل اسم مستر كوينيون . واستدعانى مستر ماردستون الى غرفة الجلوس وقال :

— هذا مستر كوينيون . الموظف بشركة ماردستون وشركاه بلندن . سأتذهب لتعمل معه فى مكتبه بالشركة . وستعيش هناك فى غرفة مستأجرة بمنزل أحد الأشخاص .

وهكذا وجدت نفسى فى النهاية جالسا جنباً الى جنب مع مستر كوينيون فى العربة المسافرة الى لندن . وأنا لم أزل ولداً صغيراً . يخرج وحيداً الى العالم .

## ١٤ — بداية العمل

ركان يعمل فى المكتب ثلاثة أولاد آخرون . لم أشجارب معهم ، وشعرت بقدر كبير من التعاسة . وفى هذا اليوم الأول للعمل فى هذا المكتب ، ظللنا نعمل حتى الساعة الثانية عشرة ظهراً . واستدعانى مستر كرينيون الى حجرة مكتبه . وهناك رأيت رجلاً بدينياً يرتدى معطفاً بنى اللون . وكان اسمه مستر ميكابور .

قال مستر كوينيون :

— هذا هو الغلام .

قال مستر ميكابور باهتمام ووقار وأدب :



مستر ميكابور .

- اذن هذا هو مستر كوبرفيلد ؟ .. أرجو أن تكون  
في خير حال يامستر كوبرفيلد ! ..

شكرته ، وتمنيت له نفس الشيء . فقال بنفس  
الطريقة الوقورة المؤدبة ..

- شكرا لله .. أنا في حالة طيبة .. لقد تلقيت  
خطابا من مستر ماردستون يطلب مني فيه أن استضيفك  
في منزلي .. وستسكن في إحدى الغرف التي  
لا احتاجها في الوقت الحالي .

وقال مستر كوينيون :

- لقد استأجرنا لك غرفة في بيت مستر ميكابور .

وقال مستر ميكابور :

- عنواني هو : وندسور هاوس . سسيتي رود ،  
« وباختصار » فأنا أعيش هناك .

وقد لاحظت منذ البداية أن مستر ميكابور كان  
يقول العديد من الكلمات بأسلوب معقد قليلا ثم يقول  
كلمة « باختصار » ويقول نفس الكلمات بطريقة سهلة

مختصرة .. كانت هذه هى طريقته المعتادة فى الحديث . وبهذه الطريقة قال لى مستر ميكاوبر :

- اعتقد أنك لم تتعرف حتى الآن على شوارع هذه المدينة الكبرى .. ومن المتوقع أنك ستجد صعوبة وعناء حتى تكتشف الطريق . لى أعيش فيه .. وبالاختصار .. سوف تفقد شريك رتتوه ولهذا فسوف أحضر فى المساء لأصحبك معى لأريك الطريق الى هذا البيت .  
وارتدى مستر ميكاوبر قبعته وغادر المكتب .

وعند حلول المساء ، عاد مرة أخرى ليأخذنى معه الى بيته . وهناك رأيت زوجته مسز ميكاوبر وأبناءه الأربعة . وقالت لى مسز ميكاوبر :

- لم أكن أظن مطلقا حين كنت أعيش فى بيت أمى وأبى .. أن يوما ما سيأتى وأضطرب فيه لتأجير احدى الغرف فى بيتى ليعيش فيها أحد الغرباء . ولكن مستر ميكاوبر يعانى من بعض الصعوبات المالية .. ولا يترك له دائنوه فرصة من الوقت حتى يتمكن من رد ديونهم ..

كانت مسز ميكاوبر مسكينة حقا .. وكانت تبذل كل مافى وسعها لمعاونة زوجها فى تلك الأزمة . فقد علقت على باب بيتها لافتة كتبت عليها :

« مدرسة مسز ميكاوبر لتعليم الفتيات » .. ومع ذلك فلم تحضر الى البيت فتاة واحدة .. والذين كانوا يحضرون الى البيت هم بعض الدائنين الذين كانوا يصرخون فى وجه مستر ميكاوبر ويطالبونه برد ديونهم ..

وكان هناك مجموعة اخرى من الدائنين يصرخون ويهددون مستر ميكاوبر حين كان يسير فى الشارع .. ومجموعة ثالثة يطلقون تهديداتهم وصرახهم وهم يقفون تحت نوافذ البيت .

وحينئذ كان مستر ميكاوبر يشعر بمنتهى التعاسة ويقول أنه يجب أن يقتل نفسه وينتحر ليتخلص من كل ذلك .. ولكن بعد مرور أقل من نصف ساعة ، كان - وباللغرابة ! - يشرع فى تنظيف حذائه ، ويخرج من البيت وهو يغنى أغنية مرحة ويشعر بسعادة غامرة .

وكانت مسز ميكاوبر على شاكلته . ففى الساعة السادسة مثلا ، أراها راقدة على الأرض وهى تبكى . . ولكن قبل مرور أقل من ساعة ، كنت أراها فى قمة البهجة والسرور . . وتحكى لى الكثير من القصص عن أمها وأبيها . . وعن البيت الذى كانت تعيش فيه قبل أن تتزوج .

وفى إحدى الأمسيات عاد مستر ميكاوبر الى البيت حزينا . وأخذ يبكى عندما بدأ فى تناول عشاءه . وقال أن الأمور قد تأزمت ولم يعد باقيا سوى أن يرسله دائنوه الى السجن بسبب عجزه عن سداد ديونهم . .

ولكن عندما انتهى مستر ميكاوبر من تناول عشاءه ، أخذ يغنى أغنية مرحة . . وقبل أن يتوجه الى سريره للنوم ، أخذ يحسب تكاليف عمل نوافذ كبيرة للبيت بدلا من تلك النوافذ الضيقة . . وذلك عندما تتحسن الأحوال . . !

ولكن الأحوال لم تتحسن ، بل وأخذ الزوجان يبيعان بعض الأشياء من بيتهما للحصول على الطعام .

ولكنهما كانا لا يجسران على الخروج من البيت ومعهما أى شىء يريدان بيعه ، فقد كان الدائنون يقربصون بهما ويراقبونهما لمنعهما من بيع أى شىء من حاجيات البيت .

ولذلك فقد كنت أتولى هذا الموضوع نيابة عنهما . . كنت أخرج من البيت ومعى بعض الكتب أو بعض قطع الفضيات . . أخبئها فى جيوبى أو تحت معطفى ، وأذهب لبيعها وأعود سريعا لأعطيها الثمن . .

وأخيرا جاءت النهاية . . وطلب الدائنون ادخال مستر ميكاوبر الى السجن (١) . وفى تلك الليلة زرته بالسجن وتناولت معه طعام العشاء . ثم عدت الى مسز ميكاوبر لأواسيها .

وفوجئت بأن الدائنين قد أخذوا كل اثاث البيت ،

(١) كان هناك قانون فى إنجلترا يقضى بسجن المدنيين الذين يعجزون عن سداد ديونهم . وفى مثل هذه الحالة كان يجوز للسجين ان يصحب معه أسرته الى السجن حتى تجد طعامها .

ولم يتركوا سوى منضدة وبضع مقاعد قليلة . وقد  
عشنا بعض الأيام وسط هذه البقايا البائسة ، الى أن  
اضطرت مسز ميكاوهر الى أن تذهب ومعها ابناؤها -  
لتعيش مع زوجها فى سجنه . واضطرت أنا بالتالى  
الى مغادرة البيت ، وعشت فى حجرة أخرى فى مكان  
قريب من السجن . وقد اعتدت على زيارة مستر ميكاوهر  
وأسرتة فى السجن كل مساء .

وبعد فترة أطلق سراحهم ، فخرجوا من السجن  
وجاءوا ليعشوا معى حيث كنت أعيش . ثم قرروا  
الرحيل الى مدينة بلايموث . وفى مساء يوم الأحد  
السابق لهذا الرحيل ، تناولنا جميعا طعام العشاء  
معا . وألقى مستر ميكاوهر خطبة قال فيها :

- يا صديقى الصغير . . يا صديقى العزيز . . أنا  
أكبر منك سناً . . وأكثر منك خبرة فى الحياة . . والى  
أن تتصلح الأحوال . . وهذا ما أتوقعه . . فليس لدى  
ما أمنحك آياه سوى نصيحة واحدة . . ونصيحتى هى :  
إذا كان دخلك السنوى عشرين جنيها ، وانفاك السنوى

عشرين جنيها الا ستة بنسات . . فسوف تعيش سعيدا  
مسرورا . . أما إذا تجاوز انفاك السنوى العشرين  
جنيها ولو بستة بنسات . . فسوف يحل الشقاء  
والخراب . . ستتذبل الزهور . . وتجف أوراق  
الشجر . . وتغيب الشمس فى الصحراء . .  
باختصار . . ستصبح مفلسا . . مثلى تماما . . !!

وحتى يؤكد مستر ميكاوهر نصيحتة تلك ، أخذ  
يغنى ويرقص . .

وفى صباح اليوم التالى ، رحلوا وتركونى وحدى  
ولم يعد أمامى سوى أن أقرر الذهاب الى عمى الكبرى  
مس بيتسى تروتوود . . قريبتى الوحيدة التى أعرفها

وهكذا جمعت حاجياتى القليلة ووضعتها فى  
صندوق . وخرجت الى الطريق . وعند احدى النواصى ،  
رأيت شابا يقف بجوار عربة فقلت له :

- هل يمكنك أن تحمل هذا الصندوق حتى تضعه  
فى العربة المسافرة الى دوفر . . كم تريد مقابلا  
لذلك . . ؟!

## فقال الشاب :

— ستة بنسات ..

وبالرغم من عدم ارتياحي لمنظر ذلك الشاب ، فقد وافقت ، ووضعت الصندوق على العربة الصغيرة التي كان يقف بجوارها . واخرجت حافظة نقودي لأعطيه أجره الذي اتفقنا عليه .. وفجأة انقض الشاب على حافظة النقود وخطفها من يدي ، وانطلق هاربا بأقصى سرعة .

وفي اللحظة التالية ، أصبحت مفلسا وبلا نقود .. ولم أعد أمتلك شيئا في هذا العالم .. وهكذا بدأت طريقى الى دوفر .. سيرًا على الأقدام !

وعندما وصلت الى بلاك هيث ، قضيت الليل نائما في أحد الحقول بالقرب من مدرستى القديمة سالم هاوس . وفي صباح اليوم التالي عاودت السير حتى وصلت الى روشستر ، ومنها توجهت الى شاتهم .. وهناك قررت ان أبيع معطفى لأحصل بثمنه على طعام يسد جوعى ..

ودخلت الى بكان صغير ، يجلس فيه رجل عجوز له شكل قبيح . ويمجرد أن رأيته ، قال على الفور :

— آه يا عيني ! .. آه يا رجلى ! .. ماذا تريد ؟ ..  
أوه .. آه يا أذنى ! .. آه يا ذراعى ! .. ماذا تريد ؟  
جررررررررررر !!

قلت له مندعشا :

— أريد أن أعرف .. هل يمكن أن تشتري معطفا ..  
أعطيك فقط شلنا واحدا وستة بنسات !

فقال العجوز على الفور :

— أوه .. آه يا قلبي .. آه يا بطنى ! .. لا ..  
أعطيك فقط شلنا واحدا وستة بنسات !

وافقت .. ولكنه لم يعطينى النقود على الفور .. وانتظر فترة طويلة .. ثم بدأ يعطينى النقود فى عملات صغيرة أخذ يعدها بيضاء .. كل نصف بنس وراء الآخر ..

فقال مستر ديك :

- اوه .. نعم نعم ...

وقالت عمى :

- الآن .. لا تتظاهر بالجنون بينما أنت فى

الحقيقة رجل ذكى .. هذا هو دافيد كوبرفيلد ..

أخبرنى .. ماذا أفعل معه ؟ !

فقال مستر ديك وهو ينظر نحوى :

- دعيه يستحم !

وأعطونى حماما .. ثم تناولنا العشاء معا ..

وحكى لعمى كل ما حدث .. وكانت عمى مستغرقة

فى الانصات .. ثم قالت :

- انى لا أستطيع أن أفهم لماذا يتزوج الناس ..

ان أمك قد تزوجت .. ثم تزوجت مرة أخرى .. وتلك

المرأة بيجوتى .. تزوجت هى الأخرى !

ثم واصلت بعد ذلك السير حتى وصلت الى

دوفر .. والى الكوخ الذى تعيش فيه عمى الكبرى ..

ورأيتهما وهى تقف فى الحديقة الملحقة بالكوخ ..

وصرخت بمجرد أن شاهدتني اقتراب :

- ابتعد عن هنا .. لا أريد أولادا فى هذا

المكان !!

فقلت لها متوسلا :

- لو سمحت يامس بيتسى .. أنا دافيد كوبرفيلد ..

لقد ماتت أمى وأصبحت بأئسا .. !

ثم انفجرت فى البكاء ولم استطع أن أوصل

الكلام .. وعندئذ طلبت عمى من الخادمة أن تستدعى

مستر ديك ..

ووصل مستر ديك بسرعة .. وكان يبدو شبيهه

مجنون على نحو ما .. وقالت له عمى :

- مستر ديك .. هذا هو دافيد كوبرفيلد !



والتفتت عمى الى مستر ديك وقالت له :

- والآن يامستر ديك .. اخبرنى ماذا افعل معه  
ايضا ..

فقال مستر ديك :

- علينا ان نضعه فى السرير لينام .. !

## ١٥ - فرار عمى

كانت عمى جالسة الى عائدة الافطار حين قالت  
لى :

- لقد كتبت الى مستر ماردستون .. والآن بعد  
ان تناولت افطارك ، عليك بالصعود الى السطح حيث  
مستر ديك .

فقلت :

- حاضر !

وقالت :

- انه قريبى ..

وقلت :

- هل هو مجنون قليلا ؟

قالت :

- كان أخوه ينوي ايداعه فى دار للمجانين ..  
ولكنى انقذته من هذا المصير ، وسمحت له بأن يعيش  
فى بيتى .. انه رجل عطوف جدا .. وكثيرا مايقول  
نصائح طيبة بالرغم من أنه مجنون قليلا .. فهو يتحدث  
كثيرا عن رأس الملك تشارلس المقطوعة (١) .. وهو  
يكتب شكاوى كثيرة يقول أنه ينوى أن يرسلها الى  
القاضى ليشرح له فيها احواله وشئونه وأعماله ..  
ولكن رأس الملك تشارلس تظهر دائما لتتدخل فى هذه  
الشكاوى .. ولذلك يبدأ فى كتابة شكاوى أخسرى  
غيرها .. !

وصعدت الى السطح .. الى مستر ديك الذى

(١) كان اتباع كرومويل قد نطموا رأس الملك تشارلس الاول

فى سنة ١٦٤٩ م .

أرانى « طيارة ورقية » ذات خيط طويل ومغطاة كلها  
بشكاوى مكتوبة تتحدث عن رأس الملك تشارلس  
المقطوعة . وقال مستر ديك :

- بهذه الطيارة أرسل أفكارى الى العالم ..  
وكلما صعدت الطيارة الى عنان السماء .. كلما صعدت  
أفكارى الى أعلى وأعلى !

وبعد عدة أيام وصل مستر ماردستون وأخته مس  
ماردستون الى بيت عمتى .. وجلسا .. وقالت عمتى :  
- انت اذن مستر ماردستون الذى تزوج مسز  
كوبرفيلد ؟

فقال مستر ماردستون :

- نعم .. هو أنا .

وقالت عمتى وهى تشير الى :

- وهذا هو ابنها ؟

فقال مستر ماردستون مؤكدا :

- نعم .. ولقد فر هاربا من اصدقائه بعد أن ترك عمله .. لقد سبب لنا الكثير من المتاعب !

وعقبت مس ماردستون على كلامه قائلة :

- انه دون جميع الأولاد .. اسوأ ولد فى العالم !

ثم واصل مستر ماردستون كلامه :

- لقد جئت لأعيده معى اذا كان هو مستعدا للعودة .. أما اذا كان غير راغب فى ذلك فسوف أغلق فى وجهه أبوابى .. وأظن انك فى هذه الحالة ستفتحن له أبوابك !

والتفتت عمتى الى وسالنتنى :

- ماه .. ما رأيك ؟ .. هل تريد العودة معه ١٩٠ !

فأجبت على الفور :

- لا .. لا .. انهما يكرهانى .. ولم يعطفا على أبىدا .. لقد جعلأ أمى تعيش حياة تعيسة .. أرجوك .. أرجوك يا عمتى .. لاترسلينى معهما !

فالتفتت عمتى الى مستر ديك وسالته :

- والآن يا مستر ديك .. ماذا افعل معه .. ١٩٠

وأخذ مستر ديك يفكر طويلا .. ثم قال :

- يجب أن اشترى له بعض الملابس !

وهنا التفتت عمتى الى مستر ماردستون وقالت له :

- سأحتفظ بالولد .. وأنا لا أصدق كلمة واحدة مما قلته عنه .. أنا أعرف ما حدث تماما .. قبل أن تتزوج أمه قلت لها انك ستصبح أبا ثانيا لابنها .. ولكن بعد أن تزوجتها أجبرتها على أن تغير مشاعرها نحو ابنها .. لقد كانت امرأة عطوفة طيبة ، ولكنك كنت تقسو عليها وتقسو على ابنها .. تآمره لأن مجرد رؤيته كانت تذكرك بمدى قسوتك .

وعندئذ وقف مستر ماردستون بجوار الباب ، وكان يبدو شاحب الوجه .. وقالت عمتى :

- وداعا لك .. وداعا يامس ماردستون .. !

وبعد أن رحل مستر ماردستون وأخته .. قبلت  
عمتى .. وصافحت مستر ديك .. وقالت عمتى :

- من الآن سادعوك : دافيد تروتوود كوبرفيلد !

وهكذا بدأت حياة جديدة .. باسم جديد ..

وهكذا ذهبت جميع الحوادث التي جرت لى فيما  
مضى بعيدا بعيدا .. وأصبحت مجرد ذكريات ..

## ١٦ - وبدأت بداية جديدة

سرعان ما أصبحت أنا ومستر ديك اصداقاً  
مخلصين . وكثيرا ما كنا نخرج معا لتطير « طيارته  
الورقية » الكبرى .. وكان يقضى ساعات طويلة كل  
يوم يعمل بهمة فى كتابة الخطاب الذى ينوى ارساله  
الى القاضى .. ولكنه كان لاينتهى من هذا الخطاب  
اطلاقا .. لأن سيرة الملك تشارلس الأول كانت تفرض  
نفسها على موضوع الخطاب مهما حاول هو ان يتلافى  
ذكر هذه السيرة . وعندئذ كان يتوقف عن الكتابة ،  
ويشرع على الفور فى كتابة خطاب جديد .  
وكانت « الطيارة » مصنوعة بأكملها من أوراق

وهكذا سافرنا فى صباح الغد الى كانتربرى  
وعندما وصلنا الى هناك قالت عمى :

— علينا أن نذهب أولا الى بيت مستر ويكفيلد  
انه محام !

وتوقفنا أمام بيت قديم جدا ، تبرز نوافذه مطلة  
على الشارع . وتؤدى الى بابه درجتان حجريتان  
شديدتا البياض . أما النوافذ فقد كانت مصنوعة  
من مربعات زجاجية صغيرة غريبة الشكل .

وعندما توقفت العربة أمام باب البيت . رأيت  
وجها أبيض يطل من احدى النوافذ . ثم فتح لنا الباب  
رجل اسمه يورياه هيب له وجه أبيض ، وعينان لهما  
لون هو مزيج من الأحمر والبني ، وكتفان مرتفعان ،  
وذراعان طويلتان نحيفتان . وقد لاحظت ذلك عندما  
وقف هذا الرجل بجوار الحصان الذى يجر العربة ،  
وبدا يربت على خده . وسالته عمى :

— يورياه هيب . هل مستر ويكفيلد موجود  
بالبيت . . ؟

الخطابات التى توقف عن اكمالها والقاهها جانبا .  
وعندما كان يشرع فى تطيير « الطيارة » كان يبدو فى  
قمة الاحساس بالسلام والسعادة . وعندما كانت  
الطيارة تبتعد عاليا فى عنان السماء ، كانت تبدو كما  
لو كانت قد أبعدت شعرة الجنون عن عقله . . أما حين  
كانت تهبط الى الأرض وتستقر عليها ، فقد كانت تبدو  
فى نظره كشيء ميت لاحول له ولا قوة ، وعندئذ كان  
يشعر كما لو أنه قد أفاق من حلم . . وأنه هو والطيارة  
قد هبطا الى الأرض معا . . وعندئذ كنت أشفق عليه  
وأشعر بالحزن والأسف من أجله . .

وأصبحت عمى شديدة العطف على ، واختصرت  
اسمى الى « تروت » بدلا من « تروتوود » . . وفى احدى  
الامسيات قالت لى عمى :

— تروت . . يجب الا انسى موضوع دراستك . .  
فهل تحب أن تذهب الى مدرسة فى كانتربرى . . ؟

— نعم . . أحب ذلك كثيرا . .

— عظيم . . هل تحب أن تلتحق بالمدرسة غدا . . ؟



- نعم . . . مستر ويكفيلد موجود بالبيت .

وأشار الينا بذراعه الطويلة الى مكان حجرة الاستقبال . . . وفوق رف المدفأة التي تتصدر الحجرة ، رأيت صورة لجنّتلمان رمادى الشعر ، تقف الى جانبه سيدة جميلة ذات ملامح طيبة وديعة .

وبعد لحظات دخل الينا مستر ويكفيلد . . . انه نفس الجنّتلمان الذى يظهر فى الصورة ، وان كان يبدو الآن اكبر عمرا بوضع سنوات .

وقال لعمتى :

- أهلا بك يامس تروتوود . . . ماسبب حضورك الى هنا . . . ؟

فقالت عمتى :

- هذا هو دافيد تروتوود كوبرفيلد . . . وأنا عمته الكبرى . . . انى أبحث له عن مدرسة يتعلم فيها جيدا ويعامل فيها معاملة حسنة . . . اخبرنى أين أجد هنا مثل هذه المدرسة ؟ . . . !

وقال مستر ويكفيلد :

- توجد هنا مدرسة جيدة .. ولكن دافيد لن يمكنه أن يعيش فيها في الوقت الحاضر .. ومع ذلك فسأخبرك بما يجب عليك أن تعمليه .. أتركيه هنا .. انه ولد هادىء .. وبيتي بيت هادىء .. أتركيه معى فى هذا البيت ا

فشكرته عمى شكرا جزيلا .. وواصل مستر ويكفيلد حديثه :

- تعالى معى لأريك المشرفة الصغيرة التى تتولى شئون هذا البيت ..

وصعد بنا الى الطابق العلوى .. ودخلنا الى حجرة منظمة ذات رونق جميل ، راينا فيها فتاة جميلة فى مثل عمرى ، سرعان ما هبت واقفة واتجهت الى مستر ويكفيلد وأخذت تقبله .. كانت الفتاة تشبه تماما المرأة الجميلة المرسومة فى الصورة .. نفس الجمال الهادىء الوديع الذى لم انسّه أبدا .. بل ولن انساه أبدا ..

وقال مستر ويكفيلد :

- هذه هى ابنتى أجنس ..

ثم التفت الى ابنته وقال :

- أجنس .. دافيد كوبرفيلد ضيفنا وسيبقى معنا .. من فضلك أريه حجرته ..

وبعد أن ذهبنا جميعا لنرى الحجرة ، قررت عمى أن تعود بسرعة الى دوفر لتصلها قبل أن يحل الظلام .. ولكن قبل رحيلها انفردت بى وقالت تنصحنى :

- تروت .. حافظ على نفسك وكن محترما .. عليك أن تلتزم بكل مايشرفنى ويشرف مستر ديك .. والله معك ويتولاك .. كن أميناً فى كل شىء .. وإياك أن تصبح كاذبا أو مخادعا .. ولا تكن قاسيا .. والآن على أن أرحل فوراً ..

وقبلتنى بسرعة ، وخرجت من الحجرة بعد ان أغلقت على بابها .. ولذلك فقد اعتقدت أن عمى غاضبة منى .. ولكنى عندما نظرت خلال النافذة التى تطل على الشارع .. رأيت كم هى حزينة وهى تدخل الى

العربية .. لقد تظاهرت بالغضب لتخفى مشاعرها  
الحقيقية .

وفى المساء تناولت العشاء مع مستر ويكفيلد وابنته  
آجنس .. وبعد أن انتهينا من العشاء ، غنت آجنس  
اغنية لطيفة .. ثم قبلت أباهما قبله المساء وذهبت الى  
حجرتها لتنام ..

## ١٧ - آجنس

فى صباح اليوم التالى ، ذهبت مع مستر ويكفيلد  
الى المدرسة . كانت بناء ذا مظهر وقور ، يقع وسط  
ساحة واسعة . وقدمنى مستر ويكفيلد الى الدكتور  
سترونج ناظر المدرسة .. وكان رجلا غير مهندم ويعلو  
التراب ثيابه ، وله شعر رأس أطول من المعتاد .

نظر الدكتور سترونج الى بعينين باردتين . وقال  
انه مسرور لرؤيتى . ومد يده ليصافحنى . وكانت  
تجلس بجانبه شابة صغيرة شديدة الجمال ، ظننت فى

أما أنا فقد خرجت لأتجول قليلا فى الأماكن  
القريبة .. ورأيت عددا كبيرا من البيوت القديمة  
والكنائس . وعندما عدت الى البيت ، رأيت يورياه  
هيب وهو يغلّق أبواب المكتب .

ولما كنت أشعر بالصداقة والود نحو الجميع ، فقد  
جلست قليلا مع يورياه وتحادثنا لبضع دقائق .  
ومددت يدي لأصافحه قبل أن أصدق الى حجرتى ..  
وكم كانت يده باردة .. لقد أخذت أمسح يدي بعد ذلك  
كما لو كنت أريد أن أمحو آثار يده .

وعندما رقدت على السرير .. كنت لم أزل أحس  
بعقلى .. ملمس يده الباردة المبتلة ..



البداية أنها ابنته ، وعلمت فيما بعد أنها مسز سترونج ٠٠ زوجته !

وصحبنى الناظر ليرشدنى الى حجرة الدراسة ، حيث رأيت نحو أربعة وعشرين تلميذا ، كلهم كانوا مشغولين بمطالعة كتبهم ٠ ووقفوا جميعا عندما دخل الناظر ، وأشار الى قائلا :

- هذا زميل جديد أيها السادة الصغار ٠ اسمه تروتود كوبرفيلد ٠٠

وخرج من بين المقاعد صبى اسمه آدمز ٠٠ رحب بى ٠٠ وأرشدنى الى مقعدى ٠

وشعرت بالغربة بين هؤلاء الأولاد ٠٠ فجميعهم لا يعرفون شيئا عن تجاربى السابقة ٠٠ كما انى لاأعرف شيئا عن كيفية ألعابهم وطرقهم فى التعامل ٠٠ وأخذت أتخيل ماذا يظن هؤلاء الأولاد بى ، اذا علموا انسى كنت أعيش مع أشخاص مثل ميكاببر وأسرته ٠٠ أو اذا كانوا قد شاهدونى حينما سرت على قدمى من لندن الى دوفر جائعا رث الثياب ٠٠ !؟

لم اشعر بالارتياح بين هؤلاء الأولاد ٠٠ بل ربما شعرت بالخوف منهم ٠٠ لذلك فقد سارعت فى الانصراف عقب انتهاء اليوم الدراسى ٠ وبمجرد وصولى الى بيت مستر ويكفيلد تبذدت مخاوفى وتعباسى ٠ وجلست فى حجرتى المنظمة الجميلة أقرأ فى كتبى حتى حل موعد العشاء ، فنزلت الى الطابق السفلى ورأيت آجنس جالسة فى غرفة المعيشة ٠ وبعد لحظات وصل والدها مستر ويكفيلد ٠ وقال :

- ستكون سعيدا فى مدرسة الدكتور سترونج !

وبعد الانتهاء من تناول العشاء أحضرت آجنس مجموعة من زجاجات الشراب ووضعتها على المائدة أمام مستر ويكفيلد الذى بدأ على الفور يحتسى الشراب كأسا وراء آخر ٠

وشرب مستر ويكفيلد كمية كبيرة ٠٠ وغنت آجنس بعض الأغانى القصيرة ٠٠ ثم جلست بجوار أبيها وأخذت تحادثه ٠٠

أما أنا فقد أحضرت كتيبى وبدأت فى مذاكرة  
دروسى .. وتفحصت أجنس بعض هذه الكتب ثم  
جلست بجوارى لتساعدنى فى المذاكرة .

والآن .. بينما اكتب هذه الكلمات من قصة  
حياتى .. مازلت أذكر تماما كيف أحسست بوداعتها  
وطبعها الهادئ .. وكيف أحسست بصوتها الوديع  
العذب وهى تتكلم .. ومازلت الى الآن أشعر بأفضالها  
على فى تلك الفترة وفيما بعد أيضا ..

لقد أحببت من قبل اميلى الصغيرة .. ولكنى  
أصبحت أشعر بالفضل .. والوداعة .. والسلام ..  
والصدق .. أينما تكون أجنس ..

## ١٨ - يورياه هيب .. المتواضع

وبعد ذلك ذهب مستر ويكفيلد الى المكتب ليواصل  
عمله .. وفى المكتب رأيت ضوءا خافتا . ورأيت يورياه  
جالسا ويقرا فى كتاب ضخم ، ويتتبع كل سطر يقراه  
باصبعه . فقلت له :

- انك تعمل حتى وقت متأخر هذه الليلة يا يورياه !

- هذا صحيح يامستر كوبرفيلد .. ولكنى  
لا أشتغل الآن بأعمال المكتب .. انى أدرس القانون .

- تدرس القانون ؟ .. كنت أظن أنك محام كبير !



يورياه هيب .

- لا يامستر كوبرفيلد .. أنا شخص متواضع  
جدا .. وأمي أيضا متواضعة جدا .. وأعيش معها  
فى بيت متواضع .. وكان أبى أيضا رجلا متواضعا ..  
ويعمل فى مهنة متواضعة .. لقد كان خادما فى  
كنيسة ، ويقوم أيضا بحفر القبور فى ساحتها .

فسالته :

- وأين هو الآن ؟

- فى السماء .. ولكن لدينا أشياء كثيرة نحمد  
الله عليها .. فأنا أحمد الله لأنى أعمل مع مستر  
ويكفيلد .. وأتمنى أن أصبح محاميا .

- وعندئذ ستشارك مستر ويكفيلد فى مكتبه ..  
وسيصبح اسم المكتب « ويكفيلد وهيب » ..

- لا يامستر كوبرفيلد .. انى متواضع جدا  
ولا أجسر على فعل ذلك .. ان عمك سيده لطيفة ..  
وكان يورياه هيب معتادا على تحريك جسمه عندما

كان يتحدث بكلام طيب عن أى شخص .. وفعل ذلك  
عندما كان يحدثنى عن عمى :

- انها سيدة لطيفة .. وهى معجبة كثيرا بـمس  
آجنس .. أليس كذلك .. ؟!

فاجبت دون أن ادرى بما اقول :

- نعم .. نعم .

وسألنى يورياه :

- وانت أيضا معجب بها .. أنا متأكد من أنك  
معجب بها ..

فقلت :

- ان أى شخص لابد ان يعجب بها !

- أوه .. شكرا لك يامستر كوبرفيلد على هذه  
الكلمات .. شكرا لك .. انها كلمات صادقة !

وقام متاهبا للانصراف . وهو يقول :

- ان أمى تتوقع الآن عودتى .. لو أنك فكرت فى  
زيارتنا فى بيتنا المتواضع .. فسوف يسعدنا ذلك  
كثيرا .

فقلت له أن ذلك سيسعدنى أيضا . وقال قبل أن  
ينصرف :

- ربما ستبقى هنا فى هذا البيت يامستر كوبرفيلد  
لمدة طويلة .. وربما ستتولى العمل بدلا من مستر  
ويكفيلد فى النهاية ؟ !

- لا .. أنا لا أفكر فى مثل ذلك اطلاقا ..

- أوه .. أنا متأكد من أن ذلك سيحدث .

ووضع يده فى يدى ليصافحنى .. فأحسست  
بلمس يده وكأنها سمكة .. وحلمت بذلك فى تلك  
الليلة ..

منذ نحو عام مضى من هذه الشابة الصغيرة الجميلة  
التي رأيتها معه .

وكان الدكتور يقوم بتأليف أحد الكتب .. ولكنه  
كان بطيئا للغاية ، لدرجة الاحساس بأنه لن ينتهى  
من تأليف كتابه هذا قبل مرور الف سنة ! .. ولكنه  
كان رجلا طيبا كثير العطف على الفقراء . ويحكى  
الأولاد قصة طريفة عن كرمه .. فقد أعطى معطفه لامرأة  
فقيرة .. ولكن المرأة باعت المعطف لتشتري بثمنه خمرا  
تشربه .. وبعد مدة ، شاهد الدكتور المعطف معروضا  
فى أحد المحلات ، فاشتراه دون أن يدرك أنه نفس معطفه  
الذى وهبه للمرأة .

واستلمت خطابا من بيجوتى كتبت فيه بعض  
أخبارها .. قالت أن مستر ماردستون وأخته مس  
ماردستون قد رحلا بعد أن أغلقا البيت .. وأن زوجها  
باركيس فى حالة طيبة ولكنه شديد الحرص على  
نقوده .. وأن مستر بيجوتى أيضا فى حالة طيبة .

## ١٩ - مدرسة الدكتور سترونج

كانت مدرسة الدكتور سترونج رائعة وعظيمة .  
وتختلف تماما عن مدرسة مستر كريكل . وكانت الثقة  
متبادلة بين التلاميذ والمدرسين .. وكنا نشعر جميعا  
باننا مسئولون عن نجاح المدرسة فى أداء رسالتها .  
ولذلك فقد كنا نحب المدرسة ونعمل كل مايشرفها  
ويشرفنا .

وكان بعض التلاميذ يعيشون فى بيت الدكتور  
سترونج .. وهم الذين أخبرونى بأن الدكتور قد تزوج

وكذلك هام واميلي الصغيرة .. أما مسز جاميدج فقد كانت مريضة .

وكانت عمى تفاجئنى بالزيارة فى اوقات غير متوقعة لترى كيف تسير احوالى .. ولكنها اطمانت تماما بعد ان تاكدت من حرصى على التعلم واداء واجباتى . وكنت اذهب الى دوفر لزيارتها مرة كل ثلاثة أو أربعة اسابيع .. أما مستر ديك فقد كان يحضر لزيارتى بصفة منتظمة كل يوم اربعاء .. وكان يحمل معه دائما حقيبة أوراقه وآخر ماكتبه من خطابه العظيم الذى ينوى أن يرسله للقاضى .. !

وأصبحت أيام الأربعاء هذه أسعد أيام مستر ديك .. إذ سرعان ما أصبح معروفا ومحبويا من جميع تلاميذ المدرسة .. كان لا يشاركهم فى اللعب ، ويكتفى بمشاهدة العباب التلاميذ وينفعل بها .. وكان يجد متعة عظيمة وهو يتفرج على الأولاد وهم يمرحون ويلعبون على الثلوج المتساقطة .

وكان مستر ديك يجيد صناعة لعب مثل القوارب والعربات الصغيرة .. يصنعها من مواد غريبة ويعلم الأولاد كيف يصنعونها . ولذلك فقد أحبه جميع الأولاد وأصبحوا ينتظرون موعد مجيئه للزيارة القادمة .

وكان يحترم الدكتور سترونج ، ويقف أمامه بأدب بالغ بعد أن يخلع قبعته .. وسرعان ما أصبح هو والدكتور صديقين حميمين . بل وبدأ الدكتور يتلو عليه بعض صفحات من الكتاب الذى يقوم بتأليفه .. وعندئذ كان مستر ديك ينصت بامعان ويشرق وجهه بالسرور .. بالرغم من يقينى بأنه لا يفهم كلمة واحدة مما يقوله الدكتور ..

وسالته :

- هل مازلت تواصل دراسة القانون ؟

فاجاب :

- ان قراءتى لكتب القانون لا ترقى الى مستوى لدراسة .. ففى بعض الامسيات اقضى ساعة او ساعتين فى قراءة كتب القانون .. ولكنى اصادف بعض الصعوبات .. فهناك بعض الكلمات والمصطلحات مكتوبة باللغة اللاتينية ولا استطيع ان افهمها ..

- هل تحب ان اساعدك فى تعلم اللاتينية ؟

- اوه .. شكرا لك يامستر كوبرفيلد على هذا العرض الطيب .. ولكنى متواضع وذليل ولا استحقه هانحن قد وصلنا الآن الى بيتنا المتواضع !

ودخلنا الى غرفة منخفضة السقف . وقالت مسز ميب ( أم يورياه ) وكانت تشببه الى حد كبير وان كانت اقصر منه طولا . وقد استقبلتنى بتواضع شديد وهى تقول :

٢٠ - تناولت الشاي مع يورياه هيب

وفى عصر أحد ايام الخميس . قابلت يورياه هيب فى الشارع . فقال لى :

- لقد وعدتني بانك ستحضر لتناول الشاي معنا انا وامى .. ولكنى اتوقع أنك لن تقبل هذه الدعوة .. فنحن ناس متواضعون جدا ..

وحتى تلك اللحظة ، لم أكن قد أدركت بعد هل أنا أحب يورياه هيب أم أكرمه . ولكنى اخبرته بأنى على استعداد لقبول دعوته . فقال :

- ان أمى ستكون فخورة بذلك .

- ان هذا يوم لا ينسى يا عزيزى يورياه .. ان حضور مستر كوبرفيلد لزيارتنا يعتبر شرفا كبيرا لنا ..

ثم التفتت الى وقالت :

- كان عزيزى يورياه يخشى أن يمنعك تواضعنا وفقرنا من تلك الزيارة التى وعدته بها .. فنحن متواضعون جدا وفقراء .. وسنبقى هكذا دائما ..

فقلت مندهشا :

- ولكنى على يقين من أنه ليست هناك حاجة لأن تكونا متواضعين بهذا الشكل ..

فقال مسز هيب :

- شكرا لك يا سيدى !

وجلست مسز هيب بالقرب منى .. وجلس يورياه امامى .. وأخذا يعطينى أفضل قطع الطعام الموجودة على المائدة .

تحدثا عن خالاتهما وعماتهما ، فتحدثت عن

عمتى .. ثم تحدثا عن الآباء والأمهات ، فتحدثت عن أبى وأمى .. ولكنى توقفت فجأة بعد أن تذكرت ان عمتى نصحتنى بالآ اتحدث فى هذا الموضوع مع احد ..

ومع ذلك فقد فقدت المقاومة مع يورياه هيب وأمه اللذين استدرجانى الى الحديث فى كل ماكانا يرغبان معرفته .. حتى تلك الأشياء التى لم اكن أرغب فى ذكرها .

وعندما انتهيا من معرفة كل ماكان يرغبان فيه ، حولا مجرى الحديث الى ذكر أخبار مستر وكيفيلد وابنته آجنس .. الأشغال الكثيرة التى يعملها .. وكيف يقضى وقته بعد تناول عشائه .. والخمر الكثيرة التى يشربها .. وهكذا وجدت نفسى متورطا فى ذكر جميع الاشياء التى لايجب أن أذكرها ..

وبدأت أتململ وأرغب فى انهاء هذه الزيارة . وفجأة : رأيت رجلا كان يسير فى الشارع .. ولكنه توقف أمام باب الحجرة وأطل برأسه الى داخلها ، وصاح مندهشا :



- كوبرفيلد !! .. هذا مستحيل !!

كان هذا الرجل هو مستر ميكاووبر بعينه .. !  
والحقيقة انى كنت لا أريد أن يعرف يورياه هيب  
ولا امه انى أعرف رجلا مثل مستر ميكاووبر .. ولكن  
هذا الأمر انتهى تماما .. بعد ان استمر مستر ميكاووبر  
فى صياحه :

- يا عزيزى كوبرفيلد .. انها حقا مصادفة  
مدهشة !

ثم التفت الى يورياه وامه وقال لهما :

- انها مفاجأة عظيمة .. لقد اكتشفت أن صديقى  
كوبرفيلد يتناول معكما الشاى .. وسيكون من دواعى  
الشرف بالنسبة لى أن يعرفكما بى ويعرفنى بكما ..

فقلت بذلك على مضض ..

وقالت مسز هيب :

- اننا ناس متواضعون .. وقد شرفنا مستر

كوبرفيلد بقبول الدعوة لشرب الشاى معنا .. اننا  
نشكر له هذا الجميل !

وقال مستر ميكاووبر يحدثنى :

- والآن .. ماذا تعمل يا كوبرفيلد ؟  
فقلت له :

- انى أدرس بمدرسة الدكتور سترونج .

ولانى أصبحت راغبا الآن فى انهاء الزيارة فورا  
ومصاحبة مستر ميكاووبر الى الخارج ، فقد قلت له وأنا  
أهم بالقيام :

- وكيف حال مسز ميكاووبر ؟ .. هل يمكننى  
الذهاب معك لزيارتها .. ؟

فقال وهو يتأهب للانصراف معى :

- سيكون هذا من دواعى سرورى .

وذهبت معه الى حانة صغيرة كان يعيش مع زوجته  
فى احدى حجراتها . وسألتهما مستفسرا :

- ولكن .. لماذا جئتما الى هذه المنطقة ؟

فأجابت مسز ميكابور :

- بعض أقاربي يقيمون هنا .. وكنت أتوقع أنهم سيساعدوننا بإيجاد عمل لمستتر ميكابور .. ولكنى شعرت بأنهم غير مسرورين لرؤيتنا .. وكان الشيء الوحيد أمامنا هو أن نقترض منهم بعض النقود لنتمكن من العودة الى لندن .. ولكننا توقفنا هنا لعلنا نجد عملا فى صناعة الفحم ..

وقبل أن تنتهى الزيارة طلبا منى أن أقبل الدعوة لتناول العشاء معهما فى اليوم التالى .. ولم استطع رفض الدعوة ..

وفى عصر اليوم التالى ، استدعيت من حجرة الدراسة ، فخرجت ورأيت مستتر ميكابور ينتظرنى ويخبرنى بأن العشاء جاهز ..

وفى المساء رأيت مستتر ميكابور ويورياه هيب يسيران معا ذراعا فى ذراع .. ولم يسرنى هذا المنظر ولم أرتح له ..

وبعد ظهر اليوم التالى ، ذهبت لزيارة مستتر ومسز ميكابور فى الحانة .. وتناولنا العشاء معا .. وأخذ يحدثنى عن يورياه قائلا :

- إن صديقك يورياه هيب .. له عقل كبير واسع الإدراك ..

وكان العشاء طيبا .. وكان مستتر ميكابور فى غاية المرح .. وغنى أغنيات كثيرة .. وعشنا جميعا لحظات رائعة من الصداقة والود .. ولا أظن أنى رأيت أحدا فى حياتى أسعد وأهنا من مستتر ميكابور فى تلك الأمسية ..

ومع ذلك .. فى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى ، تلقيت هذه الرسالة العاجلة :

« لقد انتهى كل شيء .. ولم يعد هناك أمل فى الحصول من أقارب زوجتى على أية نقود .. لقد أصبحت عاجزا عن سداد ما أنا مدين به .. وسيكون مصيرى السجن فورا .. وهذا آخر ماسوف تسمعه عنى » ..

اندهشت وشعرت بالخوف والاضطراب بسبب  
هذه الرسالة المفاجئة . وانطلقت صوب الحانة لعل  
استطيع ان اقدم اية مساعدة ..

ولكن بينما كنت منطلقا فى الطريق .. رايت عربة  
السفر الى لندن منطلقه فى الأخرى .. وفى مؤخرتها  
كان يجلس مستر ميكاوبر وزوجته .. وكان يبدو فى قمة  
السعادة ويقهقه ضاحكا على شىء قالته مسز ميكاوبر  
فيما يبدو .. وكانا ياكلان بعض الحلويات من لفه  
ورقية كانت تضعها مسز ميكاوبر على ركبتيها ..

الجزء الرابع

العالم ..

## ٢١ - وتركت المدرسة

انتهت دراستى بالمدرسة ، واصبح من الضرورى  
ان نتناقش انا وعمتى فى موضوع مستقبلى ونوع العمل  
الذى ساشغله . وقالت عمتى :

- ان هذا موضوع هام .. وعلينا ان نكون  
حريصين ولا نرتكب خطأ .. وعليك ان تفكر فى هذا  
الامر كرجل ناضج ، وليس كتلميذ فى مدرسة !

فقلت لها :

- سافعل ذلك يا عمتى !

- اذن .. اعتقد ان السفر وتغيير الجو سيكونا مفيدين .. ان ذلك سيساعدك على التفكير واتخاذ القرار المناسب .. واقترح عليك ان تقوم برحلة لزيارة عائلة بيجوتى !

- هذه خير رحلة اقوم بها .. انى احب ذلك كثيرا ..

وهكذا .. ذهبت اولاً الى كانتربرى لادع اجنس واباما مستر ويكفيلد . وقلت لها :

- ساشعر بالحاجة اليك دائماً .. ان اى شخص يحتاج عونك ، تكونين له خير عون .. يا اجنس !

فقالت اجنس :

- انى طيبة مع الجميع .. والجميع طيبون معى .

وقلت لها وانا اشعر بمنتهى الود :

- كلما واجهت مشكلة .. او اذا وقعت فى الحب .. فسوف اخبرك .. اذا سمحت لى بذلك ..

فقالت :

- ولكنك كنت تقول لى دائماً ان امور حبك تسير على مايرام ..

- اوه .. لقد كنت طفلاً واحببت طفلة .. وانى اعجب لماذا لم تقمى حتى الآن فى الحب .. ؟

ادارت اجنس عينيها خجلاً .. ولكنها بعد لحظة ، نظرت الى باهتمام وقالت لى :

- هناك شىء اريد ان اسالك عنه .. الم تلاحظ حدوث اى تغيير طراً على ابنى .. ؟

وكنت بالفعل قد لاحظت حدوث عدة تغييرات . فhezزت راسى علامة على معرفة بعض الملاحظات . وسالتهى اجنس :

- هل تستطيع ان تخبرنى بما لاحظت .. ؟

فقلت بصراحة :

- اعتقد انه يضر نفسه بالافراط فى تناول

أعرفه جيدا ، برغم أنه لم يعرفنى لأول وهلة .. وعلى الفور فاض قلبى وامتلا عقلى بالذكريات الحلوة التى كانت تربطنى فى الماضى بهذا الرجل . فانطلقت اليه وسالته مذهشا :

- ستيرفورث ! .. الا تريد أن تتحدث معى .. ؟!

وفى الحال تنبه سيرفورث وقال :

- من ؟ ! .. كوبرفيلد الصغير .. ؟!

- ياعزيزى سيرفورث .. كم أنا سعيد برؤيتك !

- وكم أنا أيضا سعيد برؤيتك .. ان أمى تعيش فى مكان قريب .. خارج لندن .

وتواعدنا على اللقاء للافطار صباح اليوم التالى .  
وقال ستيرفورث عندما التقينا :

- ما رأيك فى البقاء معى فى هاى جيت لمدة يوم أو يومين ؟ .. انى أحب ان أعرفك الى أمى .. فهى سيدة طيبة وشديدة الفخر بى .. وتتحدث عنى دائما .

الشراب .. لقد أصبحت يداه ترتعشان .. كما أنه أصبح لا يستطيع الحديث بوضوح .. وكذلك نظرات عينيه أصبحت وحشية وغير طبيعية .. وقد لاحظت انه عندما يكون فى أسوأ حالاته فان أحدا يستدعيه دائما لأداء بعض الأعمال ..

- تقصد يورياه هيب ؟

- نعم .. وكان مستر ويكفيلد يشعر عندئذ بأنه قد أصبح عاجزا عن أداء عمله .. وفى كل يوم كانت حالته تزداد سوءا .. وفى إحدى المرات ، رأيتة وقد أسند رأسه على المنضدة وكان يبكى مثل الأطفال !

وعندما نويت مواصلة الرحلة الى لندن ، ساعدنى يورياه هيب فى ربط صندوق سفرى .

وأخيرا .. وصلت الى لندن ..

وذميت الى المسرح ذلك المساء .. وعدت الى الفندق الذى استأجرت غرفة فيه .. وبينما كنت فى طريقى الى تلك الغرفة ، دخل الى صالة الفندق رجل

- وهذه العلامة الغريبة التي تبدو في وجهها ٠٠!

- الحقيقة ٠٠ انى كنت السبب فى تلك العلامة

- هل كان ذلك نتيجة لحادث ؟

- كنت عندئذ طفلا صغيرة ٠٠ وأغضبتنى فقذفتها

بمطرقة ٠٠

- انى أسف ٠٠ لانى تسببت فى هذا الحديث

المؤلم ٠٠

**فقال ستيرفورث :**

- لقد حملت هذه العلامة على وجهها منذ ذلك

الزمن ٠٠ وستظل تحملها حتى تذهب الى قبرها ٠٠!

- انى لاأشك فى انها تحبك كاخ لها ٠٠

أما مسز ستيرفورث فقد كانت تحب ابنها حبا

جما ٠٠ وتبدو وكأنها لاتفكر فى أى شىء آخر أو

لاتتحدث عن أى شىء آخر سواه ٠٠ فقد أرتنى جميع

صوره ٠٠ منذ أن كان طفلا صغيرا ٠٠ وحين كان

فاغفر لها ذلك ٠٠ وأنا على يقين بانها ستسر كثيرا  
برؤيتك ٠

وعلى هذا فقد ذهبنا الى هاى جيت بعد عصر  
ذلك اليوم ٠٠ ووصلنا الى بيت قديم مبنى بالطوب ٠٠  
ورأيت سيدة عجوزا كانت تقف عند بابه ٠٠ وعرفت  
انها أم ستيرفورث ٠٠ وقابلتنى بترحاب ، وأدخلتنى الى  
غرفة المعيشة ٠٠ حيث وجدت سيدة أخرى سوداء الشعر  
والعينين ، وعلى خدها علامة تبدو كما لو كانت اثرا  
لجرح قديم ٠٠ وكان اسم هذه السيدة مس دارتل ٠٠  
ولكن ستيرفورث وأمه كانا يدعوانها روزا ٠٠

وعندما أصبحنا وحدنا ٠٠ توقعت ان يحدثنى  
ستيرفورث عن مس دارتل ٠٠ ولكنه لم يقل شيئا ٠٠  
فسألته :

- انها تبدو ذكية ٠٠ أليس كذلك ؟

**فقال على الفور :**

- ذكية ؟ ٠٠ انها تزداد صرامة عاما وراء عام ٠٠

انها متطرفة فى كل شىء ٠

صبيا يافعا أيام عرفته لأول مرة فى مدرسة مستر  
كريكل ..

وكانت تحتفظ بجميع الخطابات التى أرسلها  
لها منذ سنوات بعيدة وحتى وقت قريب .. وكانت تريد  
أن تقرأ لى كل هذه الخطابات لولا أن منعها ستيرفورث  
من الشروع فى ذلك .

وعندما صعدت الى غرفة نومى .. لاحظت وجود  
صورة لمس دارتل موضوعة فوق رف المدفأة .. وكانت  
تبدو كما لو أنها تمنع النظر الى بعينها السوداوين ..  
وتلقى الى باسئلة شتى ..

وكان هناك خادم هادىء جدا اسمه ليتيمر يبدو كما  
لو كان قوقعة أغلقت الصدفة على نفسها .. وكان  
يحضر الى حجرتى كل صباح ليسألنى سؤالا واحدا  
لايتغير :

- ان مستر ستيرفورث يجب أن يعرف هل قضيت  
وقتا مريحا .. ؟

وكنت اقول له :

- شكرا لك .. انا بخير .. وكيف حال مستر  
ستيرفورث .. ؟

وكان يقول :

- بخير .. هل يمكننى أن أقوم بأية خدمة لك  
ياسيدى ؟

- لا .. اشكرك ..

- شكرا لك ياسيدى ..

ثم ينصرف بهدوء شديد ويخرج من الحجرة ..



- نعم .. هو بالببيت .. ولكنه يرقد على سريريه  
مريضا !

ولكنها تنبهت بعد ذلك الى وجودى . فخطت خطوة  
الى الوراء وصاحت فى لهفة :

- اوه .. يابنى العزيز !!

وفى لمح البصر كان كل منا بين احضان الآخر ..  
ثم صعدت الى حجرة النوم بالطابق العلوى ..  
وفرغ باركيس بحضورى لزيارته ..

كان راقدا على ظهره فوق السرير ولا يتحرك الا  
بصعوبة شديدة . ولكنه كان قادرا على الكلام بشكل  
متواصل . وبينما كان يحدثنى ، جمع كل قواه ، وامسك  
بعضا كانت مسنودة الى جانب السرير ، ثم مدها الى  
تحت السرير ليتحسس بها صندوقا كان موضوعا فى  
ذلك المكان . وبعد أن تأكد من وجود الصندوق فى  
مكانه ، فاقه وجهه بالبشر والفرح . وقال لى :

- ملابس قديمة .. ليس فى هذا الصندوق سو

## ٢٢ - ستيرفورت يزور عائلة بيجوتى

أصر ستيرفورت على أن يصاحبنى فى رحلتى الى  
يارماوث لزيارة عائلة بيجوتى . وعندما وصلنا الى  
تلك البلدة ، وعدته أن نذهب سويا لزيارة العائلة فى  
المساء ، واستأذنت منه لفترة ، ذهبت فيها وحدى  
لزيارة بيت مستر باركيس . وهناك شاهدت بيجوتى  
وكانت منهمكة فى اعداد وطهى طعام العشاء . سألتها :

- هل مستر باركيس موجود بالببيت .. ؟

فاجابت دون أن يبدو عليها أنها عرفتنى :

بعض الملابس القديمة .. كنت أتمنى أن يكون مملوءا  
بالنقود .. !

- وأنا أيضا أتمنى لك نفس الأمنية .

- شكرا .. ولكن ليس فيه الآن الا بعض الملابس  
القديمة .

وبعد أن غادرنا الغرفة ، شرحت لى بيجوتى كيف  
يحافظ باركيس على أمواله .. وأن أشد اللحظات ألما  
بالنسبة له ، تكون حين يحتاج البيت الى بعض النقود .  
فيضطر عندئذ الى فتح الصندوق لاختراج النقود  
المطلوبة ، وقلبه يكاد أن ينفطر حزنا وألما .. !

وبعد العصر ، قابلت ستيرفورت وصحبته معى  
لزيرة بيت مستر بيجوتى . واستقبلنا الجميع بفرح  
وسرور بالغ . وكان أكثرهم فرحا مستر بيجوتى الذى  
صاح بى قائلا :

- هذا شيء مدهش .. مصادفة سعيدة أن تحضر  
لزيارتنا هذه الليلة بالذات .. فهذه الليلة دون كل

١٨٢

الليالى ، هى أسعد ليالينا كلها .. فقد طلب هام من  
اميلى الصغيرة أن تتزوجه !!

دق قلبى بشدة حين كنت أسمع هذه الأخبار ..  
وحين رأيت السرور باديا على وجه هام بعد أن فاز  
بتلك المخلوقة الصغيرة الجميلة .. وأحسست بغصة  
مؤلمة فى قلبى بعد أن تبين لى أنى مازلت أحب اميلى  
الصغيرة .. ولكن كل أمل فى هذا الحب قد تبدد فى  
لحظة خاطفة .

لزمت الصمت تماما ، ولم أعرف ماذا أقول فى تلك  
المناسبة الحافلة بالمشاعر .. ولكن ستيرفورت قال  
الكلمات الصحيحة التى يجب أن تقال فى مثل تلك  
المناسبات :

- مستر بيجوتى .. انك رجل طيب ولك كل الحق  
فى أن تكون سعيدا كل هذه السعادة فى هذه الليلة ..  
أما انت يا هام .. فانى أتمنى لك السعادة والفرح ..  
وجلسنا جميعا حول نار المدفأة .. وأخذ

١٨٣

ستيرفورث يحدث اميلى الصغيرة عن المراكب  
والصيادين والسمك .. ثم اخذ يحدث مستر بيجوتى  
عن الفترة التى قضيناها سويا فى مدرسة سالم  
هاوس .

وطوال هذه الأحاديث ، كانت اميلى الصغيرة تنظر  
الى ستيرفورث باهتمام ، وتنصت بامعان الى كل كلمة  
قالها .. لقد ثبتت عينيها عليه وكأنها لم تكن ترى  
أحدا سواه !

وامتدت بنا السهرة الى قرب منتصف الليل ..  
وقبل أن ننصرف . تهيأ الجميع لتوديعنا عند باب  
البيت .. ثم ظلوا يراقبوننا حتى تلاشى منظرنا فى  
ظلام الطريق .

ووضع ستيرفورث ذراعه فى ذراعى وسرنا ..  
وبعد لحظة قال ستيرفورث :

- كم هى جميلة تلك البنت الصغيرة .. انهم ناس  
مدهشون .. يعيشون فى مكان غريب وبيت  
غريب .. انى سعيد بتعرفى واختلاطى بمثل هؤلاء

١٨٤

الناس .. ومن حسن حظنا أننا وصلنا اليهم فى ليلة  
تتالق فيها سعادتهم .. ولكنى لاحظت أن هام لا يثير  
اهتمام الفتاة .. واعتقد أنها غير فرحة به .. اليس  
كذلك .. ؟

أدهشنى سماع تلك الكلمات .. ولكنى لاحظت  
أن ستيرفورث يضحك بعد أن قال كلماته .. فقلت له  
وأنا أحاول أن أتجاوز تلك الدهشة :

- ستيرفورث .. انى أعرفك جيدا .. انك تحاول  
أن تخفى طبيبتك وراء الضحك .. وأنا سعيد لأنك تعرفت  
على هؤلاء الناس البسطاء وهم يعيشون أسعد  
أوقاتهم .. !

وفى إحدى المرات عدت متأخرا أكثر من المعتاد الى بيت مستر بيجوتى ، فلاحظت أن ستيرفورت كان لم يزل جالسا امام المدفأة ومستغرقا فى تفكير عميق . فتقدمت اليه ووضعت يدي على كتفه ، فهب واقفا وقال وقد اخذته المفاجأة :

- اوه .. لقد جئت كما يأتى الشبح !

فقلت له :

- ارى انى اخرجتك من احلام كنت مستغرقا فيها .

فقال بنبرة لاتخلو من حزن :

- كنت اتخيل فى لهيب النار صورا تكاد ان تكون حية .. كنت افكر فى ان كل الناس الذين نراهم الآن سعداء .. سيأتى يوم يتفرقون فيه او يموتون .. كنت اتمنى وانا جالس وحدى هكذا لو كان لى أب حكيم ينصحنى او يرشدنى خلال العشرين عاما الماضية .. ولكن على ان انصح نفسى بنفسى .. وكم اتمنى ان انجح فى ذلك !

## ٢٣ - فى يارماوث

قضينا انا وستيرفورت نحو ثلاثة اسابيع فى تلك المنطقة . وفى بعض الأحيان كنا نخرج الى البحر مع مستر بيجوتى فى مركبه . ولكنى لم اكن ارى ستيرفورت كثيرا . فد كنت اذهب فى اغلب الأوقات لزيارة الأماكن القديمة والأصدقاء القدامى الذين كنت اعرفهم جيدا وكانت تربطنى بهم ذكريات ماضية .

ذهبت لزيارة بيتنا القديم .. لقد جفت الحديقة ولم يعد يعتنى بها أحد . وتساقطت الكثير من اشجارها او اجثت !

لا اكون فيها هنا .. ولا بد ان اعيد طلاء القارب ..  
وساكلف ليتيمر ان يقوم بهذا العمل .. هل تعلم بان  
جاء الى هنا .. ؟

- لا ..

- لقد وصل هذا الصباح .. ان القارب اسمه  
الآن « طائر العاصفة » .. وسوف اطلق عليه اسما  
جديدا ..

- ماذا تنوى ان تسميه .. ؟

- ساسميه « اميلي الصغيرة » .. !!

- ولكن .. اين ذهبوا جميعا .. انى لا ارى احدا  
منهم فى البيت .. ؟

فقال ستيرفورت فجأة :

- هام .. انظر هناك .. لقد عادت اميلي  
الصغيرة « الأصلية » .. ومعها هام ..  
وعندما رأت اميلي الصغيرة ستيرفورت عن بعد ،

لقد اندهشت لحزنه .. وسألته السبب فى تلك  
الحالة ، ولكنه أخذ يضحك وهو يأخذ بذراعى ويهم  
باصطحابى الى خارج البيت .. وقال :

- ابدا .. لاشىء .. لاشىء بالمره !

ومرت لحظة ثم قال مواصلا الحديث :

- هل تعلم انى اشتريت قاربا ساقوم بتشغيله فى  
هذه المنطقة .. ؟

فصحت مدهشا :

- يالك من شخص غريب يا ستيرفورت .. لماذا  
فعلت ذلك .. وربما لاترغب فى زيارة هذه المنطقة مرة  
أخرى ؟ !

فقال على الفور :

- لا .. صدقنى .. لقد احببت المكان ..  
واشتريت القارب لأظل بهذه المنطقة .. وسيقوم  
مستر بيجوتى بالعناية به وتشغيله فى الفترات التى

وفتح باب الحانة ، ودخلت امرأة ضئيلة الجسم ،  
فى حوالى الأربعين أو الخامسة والأربعين من  
عمرها . فاستدعاها ستيرفورث لكى تقص له شعره .  
فهى حلاقة تمتهن حرفة العناية بشعر الرجال  
والسيدات وكانت تحمل حقيبة أخرجت منها مجموعة  
من الزجاجات وعدة أشياء أخرى ، وشرعت على الفور  
فى عملها . ولكنها لم تتوقف عن الحديث لحظة  
واحدة . وأخذت تحكى قصصا وأخبارا عن جميع  
السيدات الجميلات من زبائنها . ولكنها قالت :

- آه . يبدو انى لن أجد عملا هنا . فلم أر أية  
سيدة جميلة منذ أن وصلت الى هنا .

فقال ستيرفورث :

- اعتقد ان باستطاعتنا أن نريها إحدى الجميلات  
اللاتى يعشن فى هذه المنطقة .

فقلت مصدقا على قوله :

- نعم . انها شابة جميلة . اسمها اميلى .  
يامس ماوشير .

انزلت ذراعها من نراع هام . وسارت وحدها وظهر  
عليها شىء من الاضطراب .

وفجأة ظهرت سيدة شابة . كانت تبدو وكأنها  
تتبع خطوات اميلى وهام . وكانت ترتدى ملابس رثة  
فقيرة ، وتظهر فى وجهها ملامح حزينة . فقال  
ستيرفورث :

- انى مندهش . من هى هذه المرأة ذات الظل  
الأسود . ولماذا تتبع خطوات الفتاة . ماذا يعنى  
هذا . ومن أين جاءت هذه المرأة . ؟ !

وكنا قد وصلنا الى الحانة ، فدخلنا وتناولنا طعام  
عشائنا . وبعد أن انتهينا من ذلك . وصل ليقيم وقال :

- لقد وصلت مس ماوشير الى هنا .  
فتساءل ستيرفورث :

- وماذا تفعل هنا .

فأجاب ليقيم :

- يبدو أنها تعمل فى هذه المنطقة أيضا .

فقال الحلاقة :

- آهاه !

ولم استرح الى منظر هذه الحلاقة ولا الى طريقتهما  
فى الكلام . ولذلك فقد قلت بنغمة أكثر جدية :

- انها حقا جميلة ، ولكنها طيبة أيضا . . . ولقد  
وعدت بالزواج شخصا من مستواها ويناسبها تماما . . .  
اسمه هام

فقال مس ماوشير :

- اوه . . . حقا . . . هذا شيء رائع !

وجمعت الحلاقة زجاجاتها وأدواتها ووضعفتها فى  
الحقيبة . . . واعطاها ستيرفورث أجرها . . . ثم انصرف  
وهى تواصل الكلام حتى آخر لحظة .

وذهبت بعد ذلك الى بيت مسـتر باركيس . . .  
واندهشت عندما رأيت هام يتمشى جيئة وذهابا خارج  
البيت . وقال عندما رآنى :

- ان اميلى بداخل البيت . . . انها تتحدث مع  
انسانة كانت تعرفها فى الماضى . . . ولا يجب أن تعرفها

الآن . . . امرأة مسكينة يامستر دافيد . . . والناس فى هذه  
المدينة الصغيرة لا يعرفون عنها شيئا . . .

- لقد رأيت هذه المرأة . . . وكانت تتبع خطواتكما .

- اوه . . . نعم . . . لقد وقفت تحت نافذة اميلى  
ونادت عليها : اميلى . . . اميلى . . . اشفقى على . . .  
لقد كنا زميلتين نعيش سويا نفس الحياة ! . . . فطلت  
اميلى من النافذة وقالت : من . . . أهذه أنت يامارتا ؟ . . .  
لقد كانت اميلى تعمل مع مارتا هذه فى متجر مستر  
أومار . . . ورتبت اميلى أن تلتقى مع مارتا هنا . . . فى  
هذا البيت .

وانفتح باب البيت وظهرت بيجوتى . . . واستدعت  
هام لدخول . . . وكانت تبكى . . . وكذلك كانت تفعل  
اميلى . . . وقالت لهم :

- انها تريد الذهاب الى لندن . . .

فأعطاها هام بعض النقود . . . وهبت مارتا واقفة . . .  
وكانت تحاول أن تتكلم بشيء . . . ولكنها لم تفعل ولم  
تستطع . . . وانصرفت وهى تبكى . . .

- يا عزيزي ستيرفورث .. كنت اظن انى لن اراك  
ابدا .. هل تبقى لتتناول الافطار معى .. ؟

- لا لا .. لا استطيع .. فانا على موعد مع  
بعض الاصدقاء .

- ستحضر اذن لتتناول معى طعام العشاء ؟!

- لا استطيع .. فلا بد ان اقضى الليلة مع اثنين  
من اصدقائى ..

- ولماذا لاتدعو صديقك لتتناول العشاء جميعا  
هنا .. ؟!

فوافق ..

وهكذا اعدنا حفلة عشاء مرحة ، تناولنا فيها  
الكثير من النبيذ .. وافرطت فى الكشراب حتى اصبحت  
اكثر مرحا وابتهاجا .. والقيت خطبة .. كما القى  
ستيرفورث خطبة اخرى .. ثم شربنا نخب الجميع  
فردا فردا ..

## ٢٤ - حفلة مرحة

رتبت عمتى امر تدريبيى على أعمال الحمامة لدى  
مكتب « سنبلو وجوركينز » بلندن .. ودفعت للمكتب  
أجر تعليمى هذا العمل .

وهكذا أصبحت اعيش فى شقة مستقلة تقع بمبنى مجاور  
للمكتب .. وكم هو جميل أن يشعر الانسان انه يعيش  
فى مكان مستقل لا يشاركه فيه أحد .. ولكن وبالرغم  
من ذلك فقد كنت أشعر كثيرا بقسوة الوحدة ..

وذات صباح فوجئت بحضور ستيرفورث . فصحت  
فيه مرحبا :



فالت بحزم :

- اسمع .. انى اعرف انك ستطيعنى .. عليك  
ان تنصرف الآن .. اطلب من اصدقائك ان يصحبوك الى  
بيتك .

وفى صباح اليوم القالى ، وبينما كنت اتاهب  
للخروج من البيت ، تلقيت رسالة من اجنس :

« عزيزى توتوود .

انى اقيم مع مستر ومسر ووتربروك ، فى ايلنج  
بليس ، هولبورن .. هل تاتى لزيارتى اليوم ؟ »

وكتبت خمسا او ست اجابات على تلك الرسالة ..  
محاولا الاعتذار وابداء الاسف على ماحدث منى ليلة  
الأمس بالسرحد .. واخيرا كتبت :

« عزيزتى اجنس .

ساحضر فى الساعة الرابعة بعد الظهر » .

وفى الساعة الرابعة تماما ، دخلت الى حجرة

ثم توجهنا جميعا الى المسرح .. وهناك رايت  
اجنس .. وعندما التقت عيوننا ، لاحظت ملامح الحزن  
والدهشة تتبدى واضحة على وجهها . ومع ذلك فقد  
صحت مهللا :

- اجنس .. اجنس .. هذا شىء عظيم ان ارى  
اجنس !!

فقلت على الفور محاولة اسكاتى :

- الصمت .. لاتصنع كل هذه الضجة .. !  
فصحت مندهشا :

- اجنس .. ؟ !!

فقلت بصوت منخفض :

- انك فى حالة غير طيبة .. اسمع .. ان عليك  
ان تنصرف الآن .. !

فقلت بصوت غيى :

- انصرف الآن .. لماذا ؟ !

الاستقبال حيث كانت أجنس جالسة فى هدوء وفى حالة طيبة • فبادرتها باعتذارى وأسفى :

- كنت أتمنى الا ترىنى فى الحالة التى كنت بها ليلة الأمس • أنت دون كل الناس ••

فوضعت يدها على ذراعى وقالت :

- اجلس •• ولاتكن تعيسا هكذا •• اذا كنت لاتثق بى ، فمن ذا الذى ستثق به اذن •• ؟!

- اوه يا أجنس •• أنت خير اصدقائى !

- اذا كنت خير اصدقائك حقا ياتروود •• فهناك شىء أريد أن تتنبه اليه جيدا •• أريد أن احذرك من الد وأسوأ أعدائك •• اقصد ستيرفورث •• فان له تأثيرا عليك فى غاية السوء •• !

فقلت لها مندهشا :

- ياعزيزتى أجنس •• انك تظلمينه بمثل هذا الظن •• فليس من العدل أن تحكى عليه بهذا الحكم بسبب ماحدث ليلة الأمس ••

- ليس لهذا السبب وحده •• بل هناك اسباب اخرى غير ذلك ••

ثم صممت لحظة وقالت :

- يجب الا تنسنى •• يجب الا تنسى أنك وعدتني بانك سوف تخبرنى اذا وقعت فى مشكلة او وقعت فى الحب •• !

ثم سالتنى ان كنت قد رايت يورياه وهى تقول فى نفس الوقت :

- انى متأكدة من انه سيصبح شريكا لأبى فى المكتب !

فصحت مندهشا :

م ماذا ؟ ! •• هل سيصبح هذا الشخص شريكا لأبيك فى مكتبه •• ؟ !

فقلت أجنس :

- نعم •• وأنا أخشى ان يكون ذلك على غير رغبة أبى •• لقد أصبح أبى يخاف منه •• انه قد سيطر على

وعندما كان يقول هذه الجملة الأخيرة ، اغلق  
قبضة يده بقوة ، وكأنه كان يعصر شيئاً بين أصابعه ..  
ولذلك فقد كرمته ..

ثم عاود يورياه حديثه قائلاً :

- ان مس أجنس كانت جميلة جدا هذه الليلة !

فقلت مصدقا على كلامه :

- انها تبدو هكذا دائما .. أنبل وأجمل من أية  
انسة أو سيدة تكون بجانبها أينما كانت !

فقال يورياه :

- شكرا لك !

فقلت له على الفور :

- ليس هناك سبب لتشكرنى على ذلك .

قال :

- هناك سر سأخبرك به .. فبالرغم من انسى  
شخص متواضع وبسيط .. فانى اعشق التراب الذى  
تسير عليه عزيزتى أجنس !

أبى تماما .. لقد بدأ أبى يفقد اهتمامه بالعمل رويدا  
رويدا .. وأصبح لا يهتم الا بى أنا وحدى .. حتى  
أصبحت أحس بأننى السبب فيما لحقه من فشل فى  
عمله ..

وبعد ذلك بعدة أيام دعيت لحضور حفلة فى  
ووتربروكس .. وقابلت يورياه هناك .. وظل ملازما  
لى منذ بداية الحفلة حتى نهايتها وحتى انصرفت .  
وكانت أجنس قد طلبت منى أن أكون لطيفا معه . ولذلك  
فقد صحبتته الى شقتى ، حيث قدمت اليه بعض القهوة .

وقال يورياه بطريقته المعروفة :

- اوه يا مستر كوبرفيلد .. أراك تقوم بخدمتى  
وتقديم القهوة الى بنفسك .. ان هذا أكثر مما أتوقعه .  
ولكن على أية حال فقد حدثت أشياء كثيرة لم أكن  
أتوقعها .. انى أتمنى أن أكون قادرا على معاونة مستر  
ويكفيلد .. لقد أصبح غير عاقل بالرة .. ولو كان  
هناك شخص آخر غيرى يعمل مع مستر ويكفيلد خلال  
السنوات القليلة الماضية ، لكان قد سيطر عليه تماما ..

وتمنيت لو أُنِي قتلته بعد أن قال هذه الكلمات ..  
ولكنه استمر في حديثه :

- انها تحب أباهما حبا جما .. ولأجل ذلك فاني  
أتوقع أن تستجيب لى وتعطف على .. !

وهكذا اكتشفت خطته .. فقد سيطر يورياه على  
مستر ويكفيلد تماما حتى يجبره على أن يعطيه أجنس  
روجة له .. واستمر يورياه فى الحديث :

- ولكن لاداعى للمعجلة فى هذا الأمر .. ان  
عزيزتى أجنس مازالت صغيرة ..

وفى تلك الليلة نام يورياه على مقعد فى غرفة  
الجلوس بشقتى .. وحلمت بأن: أجنس تقوسل الى  
لكى انقذها من هذا المصير ..

وعندما استيقظت فى صباح اليوم التالى ، دخلت  
فورا الى غرفة الجلوس . فرأيت يورياه مازال ممددا  
فوق المقعد .. تتدلى ساقاه على الأرض .. وفمه  
مفتوح عن آخره ..

وكان بوسعى أن أقتله .. ! !

٢٠٢

## ٢٥ - دورا ..

فى كل يوم ، كنت اذهب الى مكتب مستر سبنلو  
للتدريب على العمل . وبعد مضى بعض الوقت ، دعانى  
مستر سبنلو للذهاب معه الى بيته الريفى . وعندما  
وصلنا سال مستر سبنلو احد الخدم :

- اين مس دورا ؟ ..

فقلت فى نفسى :

- دورا ؟ .. ياله من اسم جميل !

وعندما دخلنا الى اقرب حجرة بالببيت ، قال لى  
مستر سبنلو :

٢٠٣

فقلت :

- وهذا الصباح هو أشرق الأوقات كلها ..  
بالنسبة لى !

ومن أحد ممرات الصديقة .. جاء كلب صغير يجرى  
نحو دورا .. فرفعته بيديها وضمته الى صدرها ..  
فقلت فى نفسى : كم هو محظوظ هذا الكلب !

ومضى النهار كله جميلا مادنا .. حيث خرجنا  
جميعا للنزهة .. وفى فترة المساء جلسنا فى حجرة  
المعيشة نقرأ فى بعض الكتب ونشاهد بعض الصور ..  
وقبل أن أتوجه لحجرة النوم القيت تحية المساء على  
مستر سبنلو وقلت له : تصبح على خير ..

ولم يعرف مستر سبنلو أننى ، انى أصبحت أنظر  
اليه باعتباراه والدا لزوجتى مستقبلا .. !!

- مستر كوبرفيلد .. هذه هى ابنتى دورا ..  
وما أن وقعت عينى عليها حتى أحببتها بجنون من أول  
نظرة .. ! وأشار الى سيدة أخرى وقال :

- وهذه صديقه لابنتى ..

فقالت السيدة :

- انى أعرف مستر كوبرفيلد من قبل .. !

كانت هذه السيدة هى مس مارلاستون !!

وفى صباح اليوم التالى ، استيقظت مبكراً وخرجت  
الى الحديقة .. وهناك قابلت دورا .. فقلت :

- لقد خرجت الى الحديقة مبكرة يامس سبنلو ..

فأجابت بنعومة :

- نعم .. ففى صباح كل أحد .. لا أواظب على  
تمريناتى الموسيقية .. ان الصباح هو أشرق أوقات  
اليوم ..

- عفوك ياسيدى .. لقد أمرت بأن أحضر الى  
هنا ..

- وهل سيدك هنا .. ؟

+ لا يا سيدى ..

- هل رأيته هنا .. ؟

- عفوك ياسيدى !

- هل سيحضر مستر ستيرفورت من أكسفورد ؟

فتحاشى الإجابة على سؤالى وقال :

- أظن انه سيحضر الى هنا غدا ..

فسالته محاولا معرفة المزيد بوضوح :

- ليتيمر .. هل بقيت طويلا فى يارماوث ؟

- لتيمر .. هل بقيت طويلا فى يارماوث ؟

- لا ياسيدى .. ليس طويلا جدا ..

## ٢٦ - ستيرفورت يعود

عدت الى شقتى بلندن .. وجاء مستر ومسز  
ميكابور لتناول العشاء معى .. وكانت حفلة ممتعة  
بهيجة .. وكنت قد قابلت « ترادلز » صديق طفولتى  
وزملى فى مدرسة سالم هاوس .. فدعوته للحضور  
الى تلك الحفلة فلبى الدعوة وأزدادت بهجتنا .. وفجأة  
ذق الباب .. ودخل ليتيمر خادم ستيرفورت .. فسالته  
مدهشا :

- ما الأمر .. ماذا حصل ؟

فاجاب بهدوئه المعتاد :

- وهل انتهيت من اعداد القارب الذى اشتراه  
مستر ستيرفورث ؟

- نعم يا سيدى ..

- وهل رأى مستر ستيرفورث القارب بعد اعداده ؟

- لا استطيع أن اقول ياسيدى .. تصبخوا جميعا  
على خير !

- وانصرف .. وارتحنا جميعا لانصرافه .. ولم  
اعد اثق فى هذا الرجل .

وبعد ان انتهت الحفلة وانفض الجمع .. جلست  
وحيدا بجوار المدفأة وأنا افكر فى أمر مستر ومسز  
ميكابور .. وفجأة سمعت وقع خطوات صاعدة على  
السلم .. وظننت فى البداية أن القادم هو ترادلز ..  
ولكنى تبينت بعد ذلك أنه ستيرفورث ، الذى قال فور ان  
رأبى :

- أراك عدت الى عمل الحفلات من جديد .. لقد

رأيت ضيوفك وهم يتحدثون بصوت مرتفع عن كرمك  
وفضلك ويثنون عليك ..

وقدمت اليه بعض الطعام .. فجلس الى المائدة  
وهو يقول :

- هامو عشاء يليق بملك .. !

ثم اضاف بعد لحظة :

- لقد جئت قادما من يارماوث ..

- ظننتك قادما من اكسفورد ..

فقال وهو يواصل تناول الطعام :

- لا .. لقد استخدمت القارب الذى اشتريته ..  
على فكرة .. معى خطاب مرسل اليك .. ان مستر  
باركيس العجوز مريض جدا ..

وناولنى الخطاب ، فقرأته على الفور . وقلت :

- اعتقد ان من الضرورى أن اذهب لأراهم !

وعندما تهباً ستيرفورث للانصراف قلت له مودعا  
- تصبح على خير يا عزيزى ستيرفورث .. انسى  
ذاهب لرؤيتهم غدا .

ووضع كلتا يديه فوق كنفى وقال قبل ان ينصرف :  
- تصبح على خير .. ولكن اذا حصل اى شىء  
يفرقنا .. فارجو ان تفكر فى حسناتى دون سيئاتى !  
فقلت له :

- كلك حسنات بالنسبة لى ..

فقال :

- ليباركك الله .. وتصبح على خير .. !

٢١٠

## ٢٧ - باركيس يذهب مع الموج ..

وصلت الى يارماوث .. وتلفتنى بيجوتى بين  
زراعيها ، شاكرا لى حضورى لزيارتها فى هذا الوقت  
العصيب .. وشكرتنى على ذلك مرات ومرات .. وقالت  
ان مجرد حضورى قد سبب لها الكثير من الراحة  
والمسكينة .. وان مستر باركيس يشعر نحوى بكثير  
من الحب والتقدير ، وانه يتحدث عنى دائما بكلام  
طيب .. وقالت ايضا انه الآن مستغرق فى النوم ،  
ولكنه عندما يستيقظ ويرانى سيسعد كثيرا وتعود اليه  
بهجته ..

٢١١



ولكن إذا واضحا انه لا يوجد شيء فى الدنيا يمكن  
أن يعيد البهجة الى مستر باركيس .. لقد كان فى دور  
الاحتضار .. يرقد غائبا عن الوعي وقد أسند رأسه  
وكتفيه على مقعد بجانب السرير ، بينما بقية جسمه  
ممددة فى ضعف على السرير ، وعلى المقعد كانت  
ذراعاه تحيطان بصندوقه العتيق الذى كان يقول دائما  
أن محتوياته مجرد « ملابس قديمة » ..

لقد أصبح الآن ضعيفا غير قادر على الحركة ..  
أصبح عاجزا عن الإمساك بالعصا التى كان يتحسس  
بها صندوقه العتيق الموضوع تحت سريره ، لذلك  
فقد طلب منهم أن يضعوا الصندوق على ذلك المقعد  
الملاصق للسرير حتى يصبح أقرب ما يكون اليه ..

وما هو ذا راقد على السرير يحتضر فى هدوء ..  
ويحاول أن يحتضن صندوقه فى يأس وبلا عافية ..  
والحياة تتسلل فى بطء خارجة من جسده الواهن  
الضعيف .. وكانت آخر كلماته التى سمعناها بوضوح  
« مجرد ملابس قديمة » .. !

وقالت بيجوتى بصوت حزين :

- باركيس .. يا عزيزى .. هاهو مستر دافيد  
قد جاء ليبراك .. باركيس .. هل تريد أن تتحدث  
اليه .. ؟!

ولكن الصمت العميق كان يلفه .. وجاهد بأخر  
انفاسه لكى يقول شيئا .. ونطق بالفعل بقليل من  
الكلمات المتقطعة غير الموصولة .. عن ذكرى قيادته  
للعربة عندما كان يأخذنى الى المدرسة ..

وفجأة فتح عينيه .. والتفت نحوى .. وأضاء  
وجهه بابتسامة راضية وقال فى وهن وبصوت ضعيف  
لايكاد يسمع :

- « باركيس مستعد » .. !!

وكما تزحف الموجة على رمال الشاطئ ، ثم  
تنسحب عائدة الى أعماق البحر .. ذهب باركيس مع  
الموج .. ولكن بلا عودة !

- والآن يا عزيزتى .. كيف حالك ؟ !

فقال مستر بيجوتى كما لو كان يحرص على  
الاجابة بدلا من اخته :

- لقد تقبلت الامر ببساطة .. لقد أدت/ واجبها  
نحو باركيس .. كما أن باركيس قد أدى واجبه نحوها .  
والأحوال على مايرام .. !!

ثم قام .. وأحضر شمعة اشعلها ووضعها  
خلف زجاج النافذة . وقال بصوت ملؤه الصدق :

- انى أشعل هذه الشمعة كل مساء لترشد  
صغيرتنا اميلى حين تعود من عملها الى البيت ..  
وسأظل أشعل شمعة كل يوم فى مثل هذا الوقت حتى  
بعد أن تتزوج اميلى من تام ويصبح لهما بيت مستقل .  
سأشعل الشمعة كل مساء وسأجلس هنا بجوار المدفأة  
واتظاهر بانى انتظر قدومها .. تماما مثلها افعل الآن .  
نكلما أرى هذه الشمعة مضاءة خلف الزجاج .. أقول  
لنفسى ان اميلى ترى نورها وهى عائدة الى البيت ..

## ٢٨ - هروب اميلى

كان المطر ينهمر بشدة حين كنت متوجها نحو بيت  
عائلة بيجوتى .. وكان القمر مختفيا وراء السحب ..  
ورأيت ضوءا يتسلل من احدى نوافذ البيت .. وطرقت  
الباب ..

كان مستر بيجوتى جالسا بجوار المدفأة يدخل  
غليونه .. وكانت بيجوتى جالسة بجواره تخطط بعض  
الملابس .. اما مسز جاميدج فقد كانت جالسة فى  
صمت فى ركن من الغرفة .

قلت موجها الحديث الى بيجوتى :

ولكى أثبت لك فولى أنظر الآن .. ها هي اميلي قد وصلت !

ولكن الذى وصل ، كان هام وحده ..

فسأله مستر بيجوتى مستفسرا :

- هام .. أين اميلي ؟ !

فعمل هام حركة برأسه .. كما لو كان يريد أن يقول أنها بالخارج .. ثم تقدم هام الى وقال :

- مستر دافيد .. هل تسمح بالخروج معى دقيقة واحدة لترى ماذا احضرنا لك أنا واميلي .. ؟ !

وعندما خرجت معه من باب البيت .. لاحظت أن وجهه شاحب شديد البياض .. وأسرع بغلق الباب وانفجر فى البكاء فسألته ملقاعا :

- هام .. ماذا حدث ؟ !

وارتفع بكأؤه أكثر وأكثر وهو يقول :

- مستر دافيد .. مستر دافيد !

- هام .. أيها الصديق المسكين .. أخبرنى ماذا حدث !

عندئذ تحامل على نفسه وقال فى ياس :

- حبي يامستر دافيد .. عروسى التى كانت أملا لقلبى .. اميلي الصغيرة .. لقد هربت !!

- هربت .. ؟ !

- نعم يامستر دافيد .. هربت .. أخبرنى بالله عليك .. ماذا أقول لهم .. ماذا أقول للناس .. ؟ !

وهنا فتح الباب وخرج الينا مستر بيجوتى .. ولن أنسى ما حييت ذلك الشحوب الذى بان على وجهه .. ولا منظره حين أخذ يصيح ويهدد جميع النساء .. !

وقفت حائرا لا ادرى ماذا أقول أو ماذا أفعل .. وكنت ممسكا بيدي الرسالة التى اعطانى اياها هام حين كنا خارج البيت .. وبعد فترة من الصمت الحزين قال هام :

- اقرأ الرسالة ياسيدى .

- انى لا الومك يامستر دافيد .. لأن الرجل اسمه ستيرفورث .

وعلى الفور ارتدى مستر بيجوتى معطفه ، وقال لهام :

- اعطنى القبعة !

فساله هام عما ينتوى .. والى أين سيذهب ، فقال باصرار :

- ساذهب للبحث عن اميلى .. ولكنى ساذهب أولا لأحطم ذلك القارب اللعين .. وبعد ذلك ساذهب للبحث عنها ..

فساله هام :

- أين ؟ .. ؟

فاجاب بمزيد من الاصرار :

- فى أى مكان .. وفى كل مكان فى هذا العالم .. سوف أجدها .. سوف أعيدها الى هنا ! .. !

وبعد صمت يشبه الموت .. بدأت أقرأ ببطء :

« عندما تقرا يامن تحبنى كثيرا هذه الرسالة .. ساكون قد ابتعدت بعيدا .. ولن أعود الا اذا عاد هو بى بعد أن أصبح سيده .. »

قل لعمى انى لم أكن أحبه كثيرا .. ومع ذلك أرجوك ان تعمل على راحته .. وجرب حظك فى الحد مرة أخرى مع فتاة طيبة تكون صادقة معك ..

بارك الله فيكم جميعا .. وانى اصلى من أجلكم راكعة على ركبتى .. واذا لم يعد بى بعد أن أصبح سيده ، فلن أصلى من أجل نفسى .. وانما سوف أصلى للجميع .. »

وأبعد مستر بيجوتى عينيه عن وجهى كما لو كان قد أفاق من حلم رهيب . ثم قال بصوت منخفض يبدو كالهمس :

- من هو الرجل ؟ .. أريد أن أعرف اسمه .. ! فقال بصوت منكسر :

بيجوتى ونظر مستر بيجوتى اليها .. ثم اشارت اليه  
بالجلوس فقال معتبرا :

- لا .. ساظل واقفا !

ثم اخرج من جيبه الرسالة التى تركتها اميلى  
وقدمها الى مسز ستيرفورث وقال لها :

- ارجوك ان تقرئى هذه الرسالة ياسيدتى !

وبعد ان قرأتها سالها مستر بيجوتى وهو يشير  
الى جملة « بعد ان اصبح سيده » :

- هل سيحفظ وعده ويتزوجها .. ؟ !

فاجابت مسز ستيرفورث بهزم :

- لا .. طبعا !

فسالها مستر بيجوتى :

- لماذا .. ؟

- لماذا .. ؟ لانها اقل منه مقاما ..

## ٢٩ - مستر بيجوتى ومسز ستيرفورث

فى صباح اليوم التالى عدت الى لندن .. وصحبني  
مستر بيجوتى بعد ان طلب منى ان اتوسط له لمقابلة مسز  
ستيرفورث « والدة ستيرفورث » . فتوجهت اليها طالبا  
السماح برؤية مستر بيجوتى ووصفته بأنه رجل طيب  
ولطيف ولديه مشكلة يريد ان يعرضها عليها . فسمحت  
له بالدخول ..

كانت مسز ستيرفورث جالسة على مقعد وثير ..  
وكانت روزا دارتل واقفة خلفها .. ونظرت الى مستر

التي كانت تقف خلفها وهمست في أذنها ببعض الكلمات  
ولكن يبدو انها لم تقبل ما همست به روزا في أذنها .  
وقالت :

- لا ياروزا .. لا !

وعندئذ قال مستر بيجوتى :

- لا ياسيدتى .. ليس هناك داع لأن تقلقى نفسك  
الى هذا الحد .. لقد جئت الى هنا بدون أمل ..  
وسأخرج من هنا بدون أمل مثلما جئت .. !

وخرج مستر بيجوتى وخرجت معه .. وتبعتنا  
روزا دارتل ، وسحبتنى من ذراعى جانباً . وقالت  
ووجهها يحمل كل مظاهر الغضب :

- لماذا أحضرت هذا الرجل الى هنا ؟ .. لا تعرف  
ان كلا من مسز ستيرفورث وابنها مجنونون بالفخر-بنفسه  
وبعائلته ؟ .. لماذا أحضرته الى هنا اذن ؟ .. لا هو  
ولا تلك الفتاة يساوى شيئاً .. بودى لو اكوى وجهه

- ولماذا لاترفعونها الى مقامكم .. ؟  
- انها غير متعلمة .. ولم تذهب الى مدرسة ..  
- علموها .. !  
- انها من عائلة متواضعة وفقيرة جدا ..

- اسمعى ياسيدتى .. انت تعرفين بلا شك مدى  
حبك لولدك .. ونحن أيضا نعرف مدى حبنا لأولادنا .  
ولكنك لاتعرفين كيف يكون حالك عندما تفقدين ولدك ..  
وأنا اعاهدك بأن نقطع صلتنا بها تماما ولن نراها ابدا  
بعد ان يتم الزواج ..

- هذا مستحيل .. ان مثل هذا الزواج سيدمر  
مستقبل ابنى .. وسيعرضه للافلاس والخراب .. ومع  
ذلك فيمكننى أن أعطيكم بعض .. ..

- تعطينا بعض النقود !؟ .. ان هذا سيكون  
أسوأ مما فعله ابنك !

وهنا تغيرت ملامح مسز ستيرفورث وظهرت على  
وجهها معالم الغضب .. وفى الحال انحنت روزا دارتل

تلك الفتاة بالنار .. ثم القيها في الشارع .. بودى  
لو أقتلها .. !!

لقد رأيت أنواعا وأشكالا من الغضب تتبدى في  
وجوه الناس .. ولكنى لم أر في حياتى غضبا عنيفا مثل  
غضبها .. !

وعند لحقت بمستتر بيجوتى ، كان يسير أنفذ ببطء  
مابطا من التل . فسألته :

- والآن .. الى أين انت ذاهب .. ؟

فأجاب بصوت منخفض ولكن فيه الكثير من  
الإصرار :

- سأذهب للبحث عنها ، مهما بعد بها المكان ..  
وإذا لحق بها أو بسى أى سوء .. فانى أشهدك على  
أن تتذكر أن آخر كلماتى عنها : ان حبى لها لم يتغير ..  
وانى سامحتها .. !

الجزء الخامس

## الزواج

### ٣٠ - الخطبة

اخبرنى مستر سبنلو أن عيد ميلاد ابنته دورا  
سيكون الاسبوع القادم ٠٠ وانه سيكون مسرورا لو  
قبلت دعوته لحضور حفل عيد ميلادها فى بيتهم الريفى .

وفى اليوم المحدد غادرت لندن فى الصباح الباكر  
حتى أصل فى وقت مناسب . وعندما وصلت الى  
البيت ، رأيت دورا واقفة فى الحديقة ، ومعها صديقة  
شابة اسمها مس جوليا ميلز ٠٠ وكان كلبها الصغير  
جيب واقفا قرب قدميها .

وطوال اليوم ، كان ذهنى مشغولا بشيء



واحد هو : دورا .. أرى صورتها فى أشعة الشمس  
المشرقة .. واسمع صوتها فى تغريد الطيور  
الجميلة .. !

جلسنا تحت الأشجار وتناولنا طعامنا .. ثم غنت  
دورا وشدت بصوتها العذب الرائع .. وتناولنا  
الشاي .. وقيل المغرب عدت الى البيت راكبا عربة ..  
وكانت دورا بجوارى ! ..

وقبل أن أغادر البيت عائدا الى لندن ، انقمت بى  
مس جوليا ميلز جانبا وقالت لى :

- مستر كوبرفيلد .. أريد أن أحدثك فى شيء ..  
ان دورا ستقيم عندنا بعض الوقت ضيفة علينا .. وأتمنى  
أن تحضر لزيارتنا !

وبعد أيام قليلة عازمت على زيارة مس جوليا ميلز  
فى بيتها حيث تقيم دورا .. وعازمت فى الوقت نفسه  
على عرض الزواج على دورا ..

وعندما وصلت كانت الاثنان جالسين فى حجرة  
الاستقبال .. وبعد فترة استأذنت مس جوليا ميلز فى  
الخروج من الحجرة وتركتنا وحدنا ..

ولا أدرى حتى الآن كيف أخبرت دورا بحبى لها ..  
لقد فعلت ذلك فى لحظة خاطفة .. قلت لها انى سأموت  
بدونها ! ..

أتوقعه ٠٠ هل تذكرين يا عمتي هذه السيدة ٠٠ انها  
بيجوتى ٠٠

**فقلت عمتي لبيجوتى :**

- مرحبا بك ٠٠ كيف حالك ؟

**ثم التفتت الى قائلة :**

- ليس من اللائق ان تدعوها باسمها القديم ٠٠  
لقد تزوجت وأصبح لها الآن اسم آخر ٠٠ هو اسم  
زوجها ٠٠ (١)

**والتفتت عمتي الى بيجوتى وسألته :**

- ما اسمك الآن ٠٠ ؟

**فقلت بيجوتى :**

- باركيس

---

(١) من المؤلف في إنجلترا ان تترك الزوجة اسم عائلتها  
وتسمى باسم زوجها واسم عائلته .

### ٣ - الافلاس

عدت من زيارة صديقى القديم ترادلز ٠٠ وتوجهت  
الى الحجرة التى كنت أقيم فيها أنا وبيجوتى ٠٠  
وأصابتنى دهشة شديدة حينما رأيت الباب مفتوحا  
وسمعت اصواتا كثيرة بالداخل ٠٠

وفوجئت بوجود عمتي ومعها مستر ديك ٠٠ وكانت  
عمتى جالسة على بعض الصناديق ٠٠ أما مستر ديك  
فقد كان ممسكا بطيارة ورقية كبيرة ٠٠

**صحت مرحبا :**

- أهلا بعمتى العزيزة ٠٠ هذا سرور لم أكن

وعندئذ قالت عمتي :

- هذا افضل .. كيف حالك يا باركيس .. ١٩

وتناولنا الشاي .. ومن وقت لآخر كنت الاحبظ ان  
عمتي تنظر الى بطريقة غريبة .. وتعجبت من ذلك ..  
فأنا لم اخبرها بعد باى شيء عن دورا .. فهل كان هذا  
هو السبب ؟ !

واخيرا قالت عمتي :

- تروت .. عليك ان تتمالك نفسك وتمسك  
اعصابك وتسمعنى جيدا .

فقلت بلا تردد :

- حاضر يا عمتي ..

- هل فكرت وسألت نفسك لماذا أنا جالسة هكذا  
على هذه الصناديق .. ١٩

- لا يا عمتي .. ولا أعرف لماذا ..

فقلت ببساطة وبوضوح :

- لأن هذه الصناديق هسى كل ما املك .. لقد  
افلست تماما يا عزيزى !

لو انى سمعت خبرا عن غرق البيت وغرق جميع  
من فيه .. لما اندهشت بمثل هذه الدهشة !

وواصلت عمتي حديثها :

- ديك يعرف ذلك ايضا .. لقد افلست ..  
وأصبح كل ما املكه فى هذا العالم موجودا فى هذه  
الغرفة .. باركيس .. هل يمكنك اعداد سرير لينام  
ديك .. اى شيء يكفى لهذا الغرض ..

ووضعت عمتي ذراعها حول عنقى وقالت انها  
لا تأسف لشيء الا بالنسبة لى وحدى .. ثم اخفت  
مشاعرها وقالت مشجعة :

- يجب ان نتحمل المصاعب ببسالة .. يجب الا  
ندع المصاعب تخيفنا او تقلقنا .. لا بد ان نشق حياتنا  
مهما اكتنفتها من متاعب وصعاب .. ياتروت !

فقلت :

- نعم ٠٠ هو صباح جميل بالفعل ٠٠ هل يمكنني  
أن أتحدث معك قليلا قبل ذهابك الى المحكمة ٠٠ ؟  
- طبعاً ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ تعال الى مكتبي ٠٠  
وتبعته الى حجرة مكتبي ، وقلت له :

- انى أسف لما سوف أقول ٠٠ لقد وصلتني أخبار  
سيئة عن عمتي ٠٠ لقد أفلست وفقدت جميع أموالها ٠٠  
ولذلك فأنا مضطر للانقطاع عن عملي بالمكتب ، وأرغب  
فى استرداد مادفعته عمتي من نقود مقابل تدريبي .  
فقال مستر سبنلو أسفا :

- انى أسف لذلك ٠٠ ولكن ذلك غير ممكن ٠٠  
فلو كنت وحدى لكان من الممكن أن أرتب ذلك ٠٠ ولكن  
هناك شريكى فى المكتب مستر جوركينز .

- أذن ٠٠ هل تعتقد انى لو حدثت مستر جوركينز  
فى الأمر ٠٠ سيكون من الممكن تسوية هذا الموضوع ؟

## ٣٢ - لقاء مع آجنس

كان أول شىء صممت أن أفعله فى صباح اليوم  
التالى ، هو إعفاء نفسى من العمل من مكتب « سبنلو  
وجوركينز » وأن استعيد منهما المبلغ الذى دفعته عمتي  
مقابل تدريبي . وجلست فى أحد أركان المكتب فى انتظار  
وصول مستر سبنلو ، وأفكر فى الوقت نفسه فى دورا ٠٠

وعندما وصل مستر سبنلو ورأى ، حيانى قائلاً :

- كيف حالك ياكوبز فيلد ٠٠ انه صباح جميل ٠٠  
أليس كذلك ؟ !

وبينما كنت أسير حائرا فى الشارع ، سمعت وقع  
عجلات عربة صغيرة قادمة من خلفى . وعندما اقتربت  
منى العربة ، رأيت وجهها جميلا . . . رأيت أجنس  
بنفسها . فصحت مهللا :

- أجنس . . . عزيزتى أجنس . . . ياله من سرور  
أن أراك هكذا فجأة . . . الى أين تذهبين . . . ؟ !

فقالت وهى تنزل من العربة تسير بجانبى :

- انى ذاهبة لزيارة عمك . . . انى لست وحدى  
هنا . . . معى أبى ويورياه هيب .

- يورياه هيب ؟ . . . عليه اللعنة . . . هل أصبح  
شريكا لوالدك فى مكتبه . . . ؟

- نعم . . . ان له تأثيرا بالغا على أبى . . . لقد  
حدث تغيير فى بيتنا أود أن أخبرك به . . . ان يورياه  
وأمه يعيشان معنا الآن فى البيت . . . وأسوأ ما فى هذا  
الأمر ، انى أصبحت لا أستطيع أن انفرد بالجلوس مع

- لا . . . لا أعتقد أن مستر جوركينز سيوافق على  
شئ كهذا . . .

ومع ذلك ، صعدت الى مكتب مستر جوركينز فى  
الطابق العلوى . وشرحت له موضوعى وطلبى . . .  
وفوجئت بقوله :

- أعتقد أنك تحدثت فى هذا الموضوع مع مستر  
سبنلو . . . ؟

- نعم تحدثت معه . . . وقال انه من الممكن أن  
يوافق على هذا الطلب لولا أن . . . . .

- إذا كان مستر سبنلو لم يوافق فأنا أيضا لا  
أستطيع أن أوافق . . .

- ولكنه قال . . . . .

- انى أسف . . . مادام لم يوافق فأنا لا أوافق  
ولم أكتشف حتى الآن من ذا الذى لم يوافق  
هل هو مستر سبنلو . . . أو مستر جوركينز ؟ !

وقمت على الفور بكتابة رسالة الى الدكتور  
سترونج اطلب منه ان ياذن لى بمقابلته فى الساعة  
العاشرة من صباح الغد .

اينما تكون اجنس . . فانها تترك لمساقها الحلوة  
على كل شىء فى المكان الذى توجد فيه . . فعندما  
عدت الى البيت ، رايت الحجرة مرتبة منظمة ، ورايت  
قفص الطيور الجميلة الخاصة بعمتى معلقا على  
النافذة ، ورايت مقعدى موضوعا بجوار النافذة بالقرب  
من مقعد عمتى . . وبينما كنت اتأمل هذه اللمسات  
الرقيقة ، سمعنا طرقا على الباب . وعندئذ قالت  
اجنس :

- اعتقد ان ابنى قد وصل .

قمت وفتحت الباب . . ودخل مستر ويكفيلد ومعه  
يورياه هيب . وادهشنى التغيير الكبير الذى لحق بمستر  
ويكفيلد . . فقد علت وجهه حمرة غير صحية ، وازداد  
ارتعاش يديه . . وفجعت بمنظره هذا . . فقد تيقنت  
ان الرجل اوشك ان يفقد قواه تماما ، ويعتمد كلية على

ابى وحدنا كما اعتدنا . . فيورياه هيب أصبح يفصل  
بيننا . .

كانت عمتى جالسة وحدها عندما وصلنا . . وحكت  
لها عمتى قصة مالحق بها من خسائر وكيف خسرت  
كل اموالها . . ثم قالت فى النهاية :

- لا ادرى ماذا يجب ان نفعل الآن . . فالكوخ  
لن يدر علينا اكثر من سبعين جنيها كل سنة . . اما  
ديك فلديه مائة جنيه هى كل مدخراته . . ولكنها تخصه  
وحده . .

فقالت اجنس :

- علمت ان الدكتور قه اغلق مدرسته . . وجاء  
ليعيش هنا فى لندن . . وهو يبحث عن شخص يساعده  
فى اعداد كتابه الذى يؤلفه . . واعتقد ان تروتوود  
يمكنه ان يلتحق بهذا العمل . .

فصحت فرحا :

- عزيزتى اجنس . . انت افضل اصدقائى !!

- اذا وجدت انا أو امى أو مستر ويكفيلد اية  
طريقة لمساعدتك .. فان ذلك سيكون من دواعى  
سرورنا .

**وقال مستر ويكفيلد بصوت منخفض :**

- ان يورياه هيب نشيط فى عمله .. وانا اوافق  
على مايقول .

**وقال يورياه هيب :**

- انى سعيد بهذه الثقة !

**وهنا قالت اجنس لأبيها :**

- ما رايك ياابى ان تخرج فى نزهة معى انا  
وتروتوود .. ؟ !

**فقال يورياه هيب :**

- لدى بعض الأعمال .. ولذلك فسوف اترك  
مستر ويكفيلد معكم .  
وخرج ..

يورياه هيب ذلك المخلوق الانتهازى المتسلق .. تماما  
مثلما يعهد انسان الى قرد ليرعاه ويتولى شئونه !

**وقالت عمى :**

- مستر ويكفيلد .. لقد حدثت ابنتك فيما لحقنى  
من خسارة وما فقدته من اموال .. لقد طلبت منها  
المشورة والنصيحة .. انى اعتقد ان ابنتك اجنس هى  
افضل عضو فى الشركة .

**وهنا قال يورياه هيب :**

- ساكون سعيدا لو ان مس اجنس ستصبح شريكة  
لنا فى المكتب .

**فقالت له عمى بشيء من الخشونة :**

- لقد أصبحت شريكا فى هذا المكتب .. وهذا  
يكفيك .. كيف تسير معك الأحوال ؟

وأجابها يورياه بأن الأحوال تسير بطريقة حسنة ..  
ثم قال بعد لحظة :

وهكذا أتيت لنا أن نعاود احساسنا بالسعادة  
وأن نتحدث بحرية عن ذكريات أيامنا السعيدة في  
كانتربرى ٠٠ وعاد مستر ويكفيلد الى حالته الطبيعية  
السابقة ٠٠

وبعد أن تناولنا الطعام معا ، جلست أجنس بجوار  
أبيها ، وصبت له كأسا من النبيذ . وعندما حل الظلام  
رقد نائما في هدوء ٠٠ فتسللت أجنس من جانبه واتجهت  
نحو النافذة ٠٠ وعندئذ رأيت الدموع تملأ عينيها .

لن أنسى أبدا تلك الصديقة العزيزة ٠٠ لقد ملأت  
قلبي بحب الخير ٠٠ وملأت عقلي بالأفكار  
الطيبة ٠٠ لقد شجعتني لكي أقوى على ضعفى وانتصر  
على الصعاب ٠٠

حتى عندما حدثتها عن دورا ٠٠ كانت تنصت الى  
وأنا أثنى على دورا وأعدد محاسنها ٠٠ آه يا أجنس .  
ياشقيقة الروح منذ أيام الصبا ٠٠ ليتنى عرفت الآن  
كل ماعرفته فيما بعد ٠٠ ليتنى عرفت ولو لمحة واحدة  
من ملامح المستقبل !

توجهت فى طريقى الى هاى جيت ٠٠ وأنا أفكر  
فى حياتى الجديدة التى أتوقمها فى الفترة القادمة ٠٠  
وصممت على أن أعرض على الدكتور سترونج رغبتى  
فى القيام بعملى فترتين كل يوم مقابل أجر مضاعف  
حتى أتمكن من مواجهة تكاليف ونفقات حياتى  
الزوجية .

وبينما كنت فى طريقى الى بيت الدكتور ٠٠ شاهدت  
بيتا صغيرا يشبه الكوخ معروضا للبيع . فتوجهت  
اليه وتفرجت عليه من الداخل والخارج ٠٠ كانت هناك  
حديقة صغيرة ملحقة به وتصلح فى نظرى للكلب  
جيب ٠٠ واقتنعت أيضا بأن البيت مناسب تماما لحياتى  
الزوجية ٠٠ مع دورا ٠٠

وصلت أخيرا الى بيت الدكتور سترونج ٠٠ ورايته  
واقفا فى الحديقة . وتهلل وجهه بالبشر حين رأتى .  
وصاح :

- عزيزى كوبرفيلد ٠٠ انى مسرور لرؤيتك ٠٠  
ومسرور أكثر لرغبتك فى العمل معى ٠٠ ولكن اليس



مستر ميكاوهر . . . لاحظت أن ولديه كانا راقدين على سرير بأحد أركان الغرفة . كما لاحظت أيضا أنه قد تناول قبل وصولي مشروبا قويا . . . وقال بعد فترة :

- ساذهب الى كانتربرى . . . لقد سألتى صديقى يورياه هيب أن أعاونه فى عمله . . . ان صديقى هيب رجل راجح العقل واسع الأفق . . . انه لن يعطينى اجرا كبيرا . . . بل سيقوم بسداد كل ديونى !

اندهشت كثيرا لدى سماع هذه الأخبار وأخذت افكر فى معناها وفيما ورائها . . . وقالت مسز ميكاوهر :

- انى على يقين من أن ميكاوهر لو شغل عقله فى الأعمال القانونية فسينجح ويتبوأ مكانة عالية . . . وربما يصبح قاضيا . . . هل تعتقد أن مستر ميكاوهر يستطيع أن يصبح قاضيا . . . ؟

فاجبتها :

- ولم لا . . . ١٩

من الأفضل أن تفكر فى عمل احسن من هذا . . . اعتقد ان مبلغ السبعين جنيها سنويا مبلغ ضئيل ولا يكفىك . . . فقلت له عارضا فكرتى :

- اعتقد انك ستعطينى المبلغ مضاعفا اذا اشتغلت فترتين يوميا . . . فترة فى الصباح وثانية فى المساء .

وبدا واضحا أن الدكتور سترونج كان سعيدا بأن أساعده فى عمل القاموس الكبير الذى يقوم بتأليفه منذ سنوات طويلة . . . وكانت جيوبه كلها مملوءة بقطع صغيرة من الأوراق عليها كتابات تخص العمل فى هذا القاموس . . . واتفقنا على أن نبدأ العمل معا فى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى .

وبعد عدة أيام . . . تلقيت رسالة من مستر ميكاوهر ، يدعونى فيها لزيارته فى حجرتة التى استأجرها فى لندن . . . وكتب فى تلك الرسالة : « ستندش عندما نرى وتسمع ان الأحوال قد تحسنت على نحو افضل » ! وعندما لببت هذه الدعوة ، ووصلت الى حيث يعيش

- ولماذا تسأل مثل هذا السؤال الغبى ٠٠ ؟!

- دورا ٠٠ لقد أصبحت شحاذا ٠٠ لقد أفلست !

- اذا واصلت الحديث هكذا فسوف أطلب من  
جيب أن يعضك !

ولكن لأن منظري كان جادا ، فقد تنبهت دورا ٠٠  
ووضعت يدها على كتفى ، وبدأت فى البكاء ٠٠ وعندئذ  
ركعت على ركبتي وطلبت منها أن تشفق بى ولا تحطم  
قلبى ٠٠ وقلت لها مستفسرا عن مصير حبى :

- هل مازلت تحبيننى يا دورا ٠٠ ؟!

فقالته بسرعة :

- نعم ٠٠ نعم ٠٠ ولكن أرجوك لا ترهبنى بمثل  
هذه الأخبار عن فقرك وعن عملك الشاق !

وسألته :

- هل فى استطاعتى ان أقول شيئا ٠٠ ؟!

### ٣٣ - وأخبرت دورا ٠٠

وبعد مضى مايزيد عن اسبوع من حياتى الجديدة .  
كنت أعمل مجدا فى فترتى الصباح والمساء ٠٠ رتبت  
أمرى لزيارة دورا ، التى لم تكن تعلم شيئا حتى الآن  
عن خسارة عمى وفقدانها ٠٠ ولا عن عملى  
الجديد الذى أقوم به مع الدكتور سترونج .

جاءت دورا الى حجرة الاستقبال . وكلبها جيب  
يجرى ويقفز بجانبها . وسألته :

- هل تعتقدان أن بإمكانك أن تكونى على علاقة  
حب مع شحاذا ٠٠ ؟!

## فاجابت فوراً :

- لا أرجوك .. لا تقل شيئاً عن ... ..

- اذن .. مادمت تقبلين الزواج برجل فقير مثلى ، فسوف يكون من الأفضل أن تنظري الى الحياة بجدية .. وأن تتعلمي شيئاً يمكنك من فحص دفاتر حسابات والدك .. ان ذلك سيفيدك مستقبلاً .. !

فشرعت فى البكاء مرة أخرى .. ثم استدعت صديقتها جوليا ميلز ..

وعندما حضرت صديقتها طلبت منها أن تعاون دورا فى قراءة وفهم أى كتاب فى طهى الطعام أو أى دفتر للحسابات ..

ووعدتنى صديقتها بأنها ستحاول ذلك .. ولكنها لم تفعل كثيراً لتحقيق هذا الطلب ..

## ٣٤ - مستر سبنلو يعرف العلاقة

وذاث يوم بينما كنت متوجها الى مكتب مستر سبنلو ، وجدته جالسا يتالم من شدة الحزن ، لدرجة انه لم يرد على تحية الصباح التى القيتها اليه ..

ونظر الى بيروود ، وسألنى ان اصعبه الى حانة مجاوزة .. وصعدنا معا الى الطابق العلوى بتلك الحانة وادخلنى الى حجرة ، ورأيت مس مارستون جالسة وكأنها كانت تتوقع حضورنا ..

- لو سمحت .. أرجو أن تعرضى على مستر كوبرفيلد ما تحتفظين به فى حقيبتك !

أمس ، لاحظت أن الكلبُ جيب يلعب بورقة ، فأخذتها  
منه وقرأتها فتبين لي أنها رسالة ٠٠ وذهبت الى مس  
دورا سبنلو وطلبت منها أن تعطيني كل الرسائل  
السابقة ٠٠ وهكذا حصلت على تلك الرسائل التي  
أريتكما أيها !

فالتفت الى مستر سبنلو وقال :

– هل لديك شيء تقوله تفسيراً لذلك ٠٠ ؟

فأجبت :

– ليس لدى ما أقول ٠٠ سوى أن اللوم يقع على  
أنا وحدي !

– سألقى بكل هذه الرسائل الى نار المدفأة ٠٠  
وعليك أن تعطيني جميع الرسائل التي أرسلتها لك ابنتي  
لألقيها في النار ٠٠

ولم أوافق بالطبع . واستمر مستر سبنلو في  
غضبه :

وأخرجت مس ماردستون آخر رسالة كنت قد  
أرسلتها الى دورا ٠٠ وقال مستر سبنلو :

– اعتقد يامستر كوبرفيلد أن هذه الرسالة مكتوبة  
بخطك ؟

قلت : نعم ٠٠ !

وعندما قدمت اليه مس ماردستون بعض الرسائل  
الأخرى قال :

– واعتقد أن هذه الرسائل الأخرى مكتوبة بخطك  
قلت : نعم ٠٠ !

فأشار الى مس ماردستون وقال لها :

– استمري يامس ماردستون في حكايتك ٠٠  
فقالت :

– لقد بدأت أشك في وجود علاقة بين مستر  
كوبرفيلد ومس دورا سبنلو ٠٠ فبدأت أراقبهما في  
حذر وعناية ٠٠ وبعد أن تناولنا الشاي بعد عصر يوم

جمعا من الناس يقفون حول الباب .. وعندما دخلت  
رايت الكاتب العجوز تيفى جالسا على مقعد غير  
مقده ، وقد امسك بقبعته فى يده . وقال عندما رأتى :

- حدث شىء فظيع يامستر كوبرفيلد !

- ماذا ؟ .. ماذا حدث ؟ !

- مستر سينلو .

- ماله .. ؟!

- مات .. لقد سقط من عربته

- ربما تعرف انى رجل غنى .. وأن ابنتى مى  
اقرب اقربائى .. وأنا لا أريد أن اغير فى ترتيبات  
ثروتى .. وسأعطيك مهلة لمدة اسبوع واحد تفكر فيه  
فيما قلته لك !

وقبل أن اعود الى المكتب . فكرت فى أن اتوجه  
بسرعة الى بيت دورا .. وكتبت رسالة قصيرة الى  
مستر سينلو أن يتفرق بابنته وأن يعاملها بلطف ..  
وتركت الرسالة على المائدة .

وذهبت الى مس جوليا ميلز ، فوجدت أن لديها  
فيضا من الكلمات المدهشة كانت تريد أن تصببه فى  
مسامعى . فتركتها وأنا اكثر تعاسة مما كنت عليه من  
قبل .

وحكىت لعمتى كل ماحدث .. ولكنها لم تعطينى  
اى أمل .. فنمت على سريرى يائسا يتمزق قلبى  
من شدة الحزن ..

وفى صباح يوم السبت ذهبت الى المكتب .. فرايت

- أنا رجل له قدرة كبيرة على التخيل .. ووجدت  
أن القانون يتطلب قدرا كبيرا من الحقائق ..

- وهل يعطيك الآن اجرا طيبا .. ؟

- لقد سدد كل ديونى .. كلها .. !

- لم اكن اتوقع انه اصبح حرا فى التصرف فى

النقود الى مثل هذه الدرجة .. هل ترى مستر ويكفيلد  
كثيرا .. ؟

- لا .. ليس كثيرا .. انه رجل ذو سمعة  
كبيرة .. ولكنه لم يعد ذا فائدة !

- اعتقد ان شريكه هو الذى يحاول ان يجعله بلا  
فائدة .. !

- يا عزيزى كوبرفيلد .. انى هنا مجرد موظف  
موثوق فيه الى حد كبير .. وهناك بعض الأمور  
لا يستطيع ان اتحدث فيها بحرية .

لقد تغير مستر ميكاوهر .. أصبح هناك حاجز

## ٣٥ - يورياه يقول أكثر من اللازم

ذهبت الى كانتربرى لزيارة مستر ويكفيلد فى  
مكتبه وبيته .. وفى الحجرة الصغيرة الملحقة بالمكتب  
والتي كان يشغلها يورياه هيب من قبل ، رأيت مستر  
ميكاوهر جالسا .

سالته :

- هاه .. هل احببت العمل بالقانون يا مستر  
ميكاوهر .. ؟

اجاب :



يورياه هيب وأجنس .

يفصل بينى وبينه .. ولم نعد صديقين مثلما كنا فى  
الماضى ..

كانت أجنس جالسة فى حجرتها . فصحت بها :

- أجنس يا عزيزتى .. انى اشعر بالاحتياج اليك  
فى الفترة الأخيرة .. كنت أفكر فىك لأنى فى حاجة  
الى نصيحتك وتشجيعك .. عندما تكونين معى ، اشعر  
بان احوالى تتحسن الى الأفضل .. فما هو السر فى  
ذلك يا أجنس .. ان ثقتى كلها فىك أنت وحدك !

فقالت برقة :

- ولكن لايجب ان تضع هذه الثقة فى انا ..  
يجب ان تضع ثقتك فى سورا ..

وفى المساء جلسنا لتناول طعام العشاء .. وشرب  
مستر ويكفيلد نخب عمى .. ونخب مستر ديك . ثم  
وقف يورياه وقال :

- انى اشرب نخب أجمل فتاة على ظهر الأرض !

- انظر اليه ا .. بسبب هذا الرجل فقدت اسمي  
خطوة خطوة .. وفقدت هدوئي وسلامي .. وفقدت  
مكتبي وبيتي ..

فصاح به يورياه :

- لا تكن غيبا هكذا يامستر ويكفيلد .. لم يحدث  
شيء فيه اى ضرر ..

وواصل مستر ويكفيلد كلامه :

- ظننت انى استطيع ان اثق به لان مصلحته كانت  
تقتضى منه ان يكون صادقا معى ومخلصا لى .. ولكن  
انظر كيف اصبح !

فقال يورياه مهيدا :

- كوبرفيلد .. من الأفضل ان تسكته .. وان  
تمنعه من ان يقول اشياء سيندم عليها فيما بعد اشد  
الندم !

فصرخ مستر ويكفيلد :

كان مستر ويكفيلد يمسك فى يده كأسا فارغه ،  
ورفع عينيه الى صورة زوجته السابقة أم اجنس ، ثم  
وضع يده على رأسه .. وواصل يورياه كلامه :

- انى احقر من ان اطلب شرب نخبها .. ولكنى  
معجب بها .. واحبها !

واخذ مستر ويكفيلد يعصر يديه فى بعضهما معبرا  
عن شدة الألم الذى يعتره .. وواصل يورياه كلامه :

- ان تكون ابا لاجنس يا ويكفيلد ، فان ذلك شيء  
يدعو للفخر .. اما ان تكون زوجها .....

وهنا اطلق مستر ويكفيلد صرخة الم وتوجع لم  
اسمع مثلها فى حياتى كلها .. فصاح به يورياه :

- ماذا فى الامر .. هل جنتت ؟ !

ووضعت ذراعى حول مستر ويكفيلد محاولا  
تهديته .. ويبدو ان الرجل قد عانى من لحظة جنون  
عابرة .. ولكنه اخذ يستعيد هدوءه رويدا رويدا .. ثم  
قال فجأة وهو يشير الى يورياه :



- سأقول أى شيء يعجبني .. لماذا لم يعد فى  
مقدورى أن أقول ما أريد .. ؟!

ووجه يورياه هديته الى قائلا :

- كوبرفيلد .. انى احذرك .. اذا لم تمنعه من  
الاستمرار فى الكلام فلن تكون فى مثل هذه الحالة  
صديقه الذى يحرص على مصالحه .. انا وانت نعرف  
مانصرف .. اليس كذلك ؟ .. الا ترى انى مازلت  
متواضعا .. واذا كنت قد قلت شيئا اكثر من اللازم ،  
فانا اسف لذلك .

وقال مستر ويكفيلد فى صوت باك :

- اوه .. تروتوود .. تروتوود .. تذكر كيف  
انحدر حالى منذ أن رايتنى أول مرة فى بيتى هذا ..  
لقد هدنى الضعف .. وأصبحت لا أستطيع التذكر ..  
وتحول حزنى الى مرض .. لقد أحببت ابنتى لانى  
كنت اتذكر فيها وجه أمها .. وأصبحت الآن ضعيفا  
حتى فى حزنى وحبى .. بل ضعيفا حتى فى طريقة

مروى من الجوانب المظلمة فى هذا الحزن وهذا  
الحب .. انظر كيف تهدمت وأصبحت حطاما .. !

والقى بنفسه على كرسيه وانفجر باكيا ..

كان الظلام قد انسدل حين أوقفت عربة امام  
الباب وهممت بركوبها . ولكن يورياه هيب جاء مسرعا  
ووقف بجانب العربة وقال بصوت منخفض يبدو مثل  
صوت الضفدعة :

- كوبرفيلد .. اعتقد انه سيسرك ان تسمع اننا  
قد سوينا أمورنا .. لقد ذهبت اليه فى غرفته ولم تعد  
بيننى وبينه الآن أية مشاكل .. وربما أنت نفسك قد  
تعرضت فى مرة لما تعرضت أنا له .. اعنى ان تقطف  
من الشجرة تفاحة لم تنضج بعد .. ولكن الوقت سيأتى  
حتما .. وأنا أستطيع أن انتظر .. !

فقالت :

- انظر .. ها أنت ذا تريد أن تفضيني وتغضب مني .. انهم يعاملونني بمنتهى اللطف والعطف .. وأنا سعيدة بهذه المعاملة .

قلت محاولا اقناعها :

- ولكن يمكنك أن تظلي سعيدة عندما يعاملونك بطريقة أكثر جدية وواقعية ..

فقالت بركة شديدة :

- لا تقسو على هكذا .. ياعزيزى !

وطلبت منى أن أحضر لها كتابا يعلمها فن طهى الطعام .. فسررت كثيرا بهذا الطلب .. واحضرت لها الكتاب المطلوب ، وكتابا آخر لتعليم الحساب .

ولكن كتاب الطهى سبب لها صداعا .. أما كتاب الحساب فقد جعلها تبكى .. وصممت على أن أقوم بتعليمها بنفسى ..

قلت لها :

- والآن .. افترضى ياعزيزتى اننا قد تزوجنا ..

## ٣٦ - دورا .. وكتاب الطهى

وكنت أتردد كثيرا على دورا .. ولكن كان هناك شيء يقلقنى باستمرار .. وهو أن دورا تحب أن يعاملها الجميع كمالوكانت لعبة جميلة .. كانت عمى مثلا تسميها « الزهرة الصغيرة » .. وكانت عمتها مس لافينيا تدللها أكثر وأكثر .. وصممت على مناقشة هذا الموضوع مع دورا .. فقلت لها :

- اعتقد أن من الأفضل أن تطلبى منهم أن يغيروا طريقة معاملتهم هذه .. لأنك تدركين ياعزيزتى انك لست طفلة صغيرة تحتاج لكل هذا القدر من التدليل والدلع ..

## ٣٧ - الزوجة الطفلة

تزوجنا ..

وعاشت معنا فى البيت خادمة تسمى مارى أن ..  
وقلت لدورا ذات يوم :

- عزيزتى .. يبدو أن مارى أن ليس لديها أية  
فكرة عن الوقت .. فالطعام يجب أن يقدم فى الساعة  
الرابعة .. ونحن الآن فى الساعة الخامسة

فقلت ببساطة :

- ربما تكون الساعة هى المخطئة فى تحديد

وانك ذهبت الى الجزار لتشتري لى قطعة من اللحم  
فهل تعرفين كيف تشتريها ؟ ..

فقلت :

- ولماذا أعرف كيف اشترىها مادام الجزار يعرف  
كيف يبيعها ؟ ..

- اذن .. لنفرض مثلا أنى طلبت منك أن تطهى  
لنا طبقا من « اليخنسى الايرلندى » (١) .. فماذا  
تفعلين ؟ ..

فقلت على الفور :

- أنادى على الخادمة . وأطلب منها أن تعد لنا  
هذا الطبق ..

وهكذا لم يعد كتاب الطهى ذا نفع .. ووضعته  
فى أحد الأركان الجانبية بالحجرة . ليقف أو ليجلس  
عليه كلبها المدلل ..

(١) طبخة ايرلندية شهيرة وسهلة ، تتكون من بعض نطع  
اللحم الصغرة تسلق ببطء مع بعض الخضراوات .

الوقت .. وأنا لا أجسر على الكلام معها فى مثل ذلك ..  
انى أخاف منها ..

فقلت بعد أن فاض بى وأنا أحاول فى نفس الوقت  
أن أمسك بأعصابى :

- بالأمس اضطررت الى الخروج قبل أن يتم طهى  
العام .. وأول أمس لم يكن اللحم مطبوخا بطريقة  
سليمة .. أما اليوم فليس هناك طعام على الاطلاق ..  
انى لا ألومك فى ذلك .. ولكن الحيناسة بمثل هذه  
الطريقة غير مريحة !

فقلت بطريقة هى خليط من الغضب والدلع :

- انت ولد قاس .. هل تريد ان تقول انى زوجة  
سيئة ؟ !

أما المشكلة الحقيقية الكبرى فكانت تتمثل فى  
الخدمات اللاتى أصبحنا نستخدمهن فى البيت واحدة  
وراء أخرى .. فبعد أن تركتنا مارى أن لاحظت أن  
بعض الملاحق وبعض النقود قد اختفت .. ثم استخدمنا

بعدها مسز كيدجربرى التى كانت عجوزا لاتقوى على  
أداء أى عمل .. ثم خادمة أخرى كانت تحطم كل  
شئ .. ثم عددا من الخدمات اللاتى لايعرفن شيئا  
عن واجباتهن .. وأخيرا استخدمنا فتاة شابة أخذت  
قبة دورا وارتدتها حين ذهب لمقابلة صديقها !

لقد أصبح الجميع يخدعوننا بسهولة .. حتى  
أصحاب المتاجر أصبحوا لايعطوننا الا اسوأ بضائعهم .  
فجميع مااشتريناه من أسماك كانت فاسدة .. وإذا  
اشترينا لحما فانه لا يؤكل بعد طهيه .. حتى الخبز  
الذى كنا نشتره اما أن يكون فاسدا أو مبلولا .. وحتى  
النساء اللاتى كنا نحضرهن لغسل ملابسنا كن ييمن هذه  
الملابس بعد غسلها .. وكانت الخدمات تشترين  
بعض حاجياتهن ويطلبن منا ان ندفع ثمنها ..  
وجاء ضيف صديق ليزورنا فقدمنا اليه طعاما لا يؤكل !  
وبعد انصراف الضيف .. جاءت دورا وجلست  
بجانبى وقالت :

- انى أسفة ياعزيزى لما حدث .. كان من

الافضل قبل ان اتزوج بك ، ان اعيش مع اجنس لمدة  
عام كامل حتى اتعلم منها كل شيء . ٠٠ هل تحب ان  
تطلق على اسما افضل ان تدعوني به ؟ ٠٠ !

سالتها :

- ما هو ؟ ٠٠

- ادعوني « الزوجة الطفلة » ، ٠٠ فكلما نويت ان  
تغضب مني ٠٠ فقل في نفسك : انها مجرد زوجة  
طفلة !

### ٣٨ - محاولة التأثير على عقل دورا

مر الآن نحو عام ونصف عام على زواجنا . وبعد  
عديد من المحاولات توقفنا تماما عن ادارة المنزل . ٠٠  
لقد اصبح المنزل يدير نفسه بنفسه . ٠٠ واصبح لدينا  
الآن خادم وطباخة . ٠٠ ويبدو ان هذا الخادم لم يكن  
لديه شيء يشغله سوى المشاجرة مع الطباخة طول  
الوقت .

وسرق الخادم ساعة دورا الذهبية وبيعها . ٠٠  
فقبض عليه ووضع في السجن . ٠٠ وامام القاضى اعترف  
بالاشياء الأخرى التى سرقها منا . ٠٠ كما اعترف ايضا

وانخرطت فى البكاء • فقلت لها :

- دورا يا حبيبى •• أرجوك أن تنصتى لما أقول ••  
يجب علينا أن نتعلم كيفية التعامل مع هؤلاء الناس الذين  
نستخدمهم •• انى أخشى ان أقول أننا نحن الذين  
نعطيهم الفرصة ليفعلوا مثل هذه الأشياء السيئة ••  
انى قلق من أجل ذلك ••

فواصلت بكاءها وهى تقول فى نفس الوقت :

- اذا كنت لا تشعر بالسعادة فلماذا تزوجتني  
اذن •• لماذا لاترسلنى لأعيش مع عمى فى بوتنى ••  
أو لأعيش مع صديقتى جوليا ميلز فى الهند •• !  
وأصبح الكلام معها بلا فائدة ••

ومع ذلك فلم أفقد الأمل •• وصممت على أن أقوم  
بتنفسى بتطويع عقل دورا ليصبح أكثر جدية •• وبدأت  
هذه المحاولة على الفور ••

قرأت لها بعض أعمال شيكسبير •• وقرأت لها  
بعض نصوص المعرفة المفيدة •• ولكنها بدأت تخمن

بالأشياء التى سرقتها الطباخة •• وشعرت بالخجل  
من نفسى بعد اكتشافى انى سرقت من جانب هؤلاء الذين  
كنت أدفع لهم أجرهم كاملا ••

وشجعتنى جميع هذه الحوادث على أن أفتح دورا  
فى هذا الموضوع بطريقة جادة وحازمة • فقلت لها فى  
احدى الأمسيات :

- يا حبيبى •• يبدو أن النقص فى قدرتنا على  
ادارة المنزل لايتسبب فى الحاق الضرر بنا وحدنا ••  
بل انه يلحق الضرر بالآخرين أيضا •• يبدو اننا  
أصبحنا نشجع الناس على أن يصبحوا لصوصا ••  
لقد أصبحت أشعر بأن هؤلاء الناس يفعلون مثل هذه  
الأشياء السيئة لأننا لسنا حازمين معهم بشكل  
كاف •••••

فصاحت دورا قائلة :

- أوه ••• أوه •• ما هذا الذى تقول •• هل رايتنى  
فى مرة وأنا أسرق ساعات ذهبية •• !

فى ائى انما افعل ذلك بقصد التأثير على عقلها ، فبدأت تخشى مثل هذه الموضوعات .. وازدادت كراهيتها لشيكسبير !

وقضيت فى مثل هذه المحاولات عدة شهور .. ولكن يبدو أن تطويع عقل دورا لم يحقق أى قدر من النجاح .. ومع ذلك فقد تخيلت انى قد حققت بعض النجاح فى ذلك ، فاشترت لها حلية ثمينة على شكل حلق لأذنيها وقلت لها وأنا أقدم هديتى :

- انى أخشى اننا لم نكن متجاوبين مع بعضنا طوال الأشهر الماضية .. وأخشى اننا لم نقضى سويا أوقاتا طيبة .. والحقيقة يادورا .. انى كنت أحاول أن أكون حكيما ..

فقلت :

- وكنت تحاول فى الوقت نفسه ان تجعلنى حكيمة اليس كذلك ؟ !

فاومات براسى . وقالت ببساطة :

٢٧٢

- لا فائدة فى ذلك .. وعليك ان تطلق على الاسم الذى احبه : الزوجة الطفلة !

وهكذا أصبحت على يقين من أننا غير متوائمين عقلا أو أهدافا .. وبدلا من محاولتى فى أن أجعل دورا تناسبنى .. بدأت محاولتى فى أن أجعل نفسى مناسبة لدورا .. ولهذا فقد بدأت أشعر ببعض السعادة .

وما أن انقضى العام الثانى على زواجنا ، بدأت ألاحظ أن دورا أصبحت معتلة من الناحية الصحية .. وكنت أمل فى أن نرزق بطفل ربما سيجعلها تنظر الى الحياة نظرة أكثر جدية .

ولكن هذا الأمل لم يتحقق وازدادت صحتها سوءا .. وكنت قد اعتدت فى الأيام الاخيرة أن أحمل دورا على ذراعى وانزل بها الى الطابق السفلى كل صباح .. ثم أحملها مرة اخرى وأصعد بها الى الطابق العلوى كل مساء .. ولاحظت انها كانت تزداد خفة فى الوزن يوما بعد يوم .

٢٧٣

وكانت عمى تقول لها كل ليلة :

- تصبى على خير .. ايتها الزهرة الصغيرة !  
ولكن مرض الزهرة الصغيرة أخذ يشتد اسبوعا  
وراء اسبوع .. حتى كلبها جيب أصبح يبدو مثل كلب  
عجوز محطم ..

رقدت دورا على السرير .. جميلة كما كانت تبدو  
دائما .. وعلت وجهها ابتسامة رائعة طيبة .. ولم  
تصدر منها أية شكوى .. ولم تطلب منا أى طلب ..  
وقالت لنا انها مرتاحة لأننا كنا جميعا طبيين معها ..  
جلست بجوار سريرها فى الضوء الخافت ..  
وكان وجه زوجتى الطفلة متجهما نحوى .. وكانت  
اصابعها ترقد ساكنة فى يدي .. وماتت !!

الجزء السادس

التسوية ..



## ٣٩ - مستر ميكاوبر يعترف

استلمت رسالة غريبة من مستر ميكاوبر يقول  
فيها :

« انتهى سلامي .. وتحطمت قدرتي على المتعة  
والسرور .. وذبلت الزهرة ! »

قرأت الرسالة عدة مرات محاولا فهمها . ولكني  
لم أفهم منها شيئا ، برغم يقيني أنها أكثر أهمية من  
جميع الرسائل التي أرسلها لي مستر ميكاوبر من  
قبل .



وبعد عدة دقائق استلمت رسالة اخرى من مسز  
ميكاوبر تقول فيها :

« لم يعد مستر ميكاوبر كما كان من قبل .. انه  
يقول انه قد باع نفسه للشيطان .. ويقول انه يريد  
الانفصال عنى .. اعتقد ان هناك سراً وراء هذا  
السلوك الغريب .. أرجو ان تلقاه وتتحدث معه ! »  
وعلى الفور أرسلت رسالة الى مسز ميكاوبر  
لأطمئنها ، كما رتبته موعداً للقاء مستر ميكاوبر في  
بيت عمتي ..

وعندما وصل لاحظت انه في حالة معنوية سيئة .  
فقلت له مواسياً :

- أرجو الا تكون قد بدأت تكره الأعمال القانونية .
- فلم يجيب بشيء وظل صامتا . فسألته :
- كيف حال صديقنا يورياه هيب .. ؟

فاجاب :

- ان كنت نسأل عنه باعتباره صديقاً لك فاننا اسف

لذلك .. أما اذا كنت تسال عنه باعتباره صديقى فهذا  
شئ مضحك .. انى لا أريد أن اتحدث عن هذا الرجل .  
ان موتى وحده هو الخلاص من كل شئ !  
فقالت عمى :

- أرجو أن تكون زوجتك وابناؤك فى حالة طيبة ..  
- انهم جميعا بخير ياسيدتى ! .. ولكنى أنا  
وحدى - لست بخير .. وأشعر باليأس ..

فقلت اطمنئه وأحثه على الافاضة بما صدره :  
- تكلم يامستر ميكاوبر .. انك الآن مع اصدقاء  
صديقين .. ماذا فى الأمر .. ١٩٠٠

وانفجر مستر ميكاوبر فى الكلام :

- ماذا فى الأمر ؟ .. ان الشيطان هو الأمر ..  
ان الاعمال السيئة الدنيئة هى الامر .. ان السرقة  
والغش والخديعة هى الأمر .. ان السبب المباشر فى  
كل هذه الأشياء المنحطة هو يورياه هيب .. الآن قد

وانتهى الصراع من أجل الحياة .. ولن أعيش مثل هذه  
الحياة مرة أخرى أريد أن أستعيد حياتى الطيبة مع  
زوجتى ومع أسرتى .. وقد أليت على نفسى أن أحمق  
هذا المخلوق المدعو هيب الى قطع صغيرة .. سأدمره  
تدميرا .. ومعدنا فى مثل هذا الوقت من الاسبوع  
القادم فى الفندق الصغير بكانتربرى .. اخبر الجميع  
بذلك .. سنلتقى هناك كلنا .. سانصرف الآن .. والى  
اللقاء .. !!

وخرج من البيت وهو يجرى .. انى لم أر فى  
حياتى اضطرابا مثل الاضطراب الذى كان يعانيه هذا  
الرجل عندما كان يلقي على مسامعنا هذا الكلام  
الغريب ..

وبعد دقائق قليلة وصلتني منه رسالة يبدو انه  
كتبها فى الحانة المجاورة . يقول فيها :

.. سيدي ..

انى اعتذر عما بدر منى من اضطراب شديد ..

مريضا على السرير .. ولكن مس آجنس ويكفيلد  
مسرورة لرؤية اصدقائها القدامى ..

وفتح بابا يؤدي الى غرفة الاستقبال . وقال بطريقته  
جادة :

- مس تروتوود .. مسستر دافيد كوبرفيلد ..  
مسستر ديك ..

ولاحظت على الفور أن زيارتنا المفاجئة هذه قد  
أدهشت يورياه هيب كثيرا .. ولكنه سرعان ما استعاد  
قدرته على التظاهر بالتواضع كالمعتاد .. وقال بطريقته  
المعروفة :

- هذا سرور لم أكن اتوقعه اطلاقا .. لقد تغيرت  
الأحوال في هذا المكتب يامس تروتوود منذ زيارتك  
السابقة .. حين كنت مجرد كاتب متواضع ..

وجاءت آجنس .. وكانت تبدو قلقة ومتعبة ..  
وظل يورياه هيب يتابعها بعينيه وهى ترحب بنا .. ثم  
نظر الى مسستر ميكابور وقال له :

ولعلى أكون قد أوضحت تماما أن موعدنا فى الاسبوع  
القادم فى « حانة السفينة » فى كانتربرى ..  
ويلكنز ميكابور ،

انقضى اسبوع وحل موعد اللقاء .. فذهبت أنا  
وعمتى ومسستر ديك الى « حانة السفينة » فى  
كانتربرى .. واستلمنا رسالة كانت فى انتظارنا يقول  
فيها مسستر ميكابور :

« انتظرونى فى الساعة التاسعة والنصف من  
صباح الغد فى مكتب « ويكفيلد وهيب » ..

وذهبنا الى المكتب فى الموعد المحدد .. ووجدنا  
مسستر ميكابور جالسا على مكتبه ويكتب .. أو ربما  
يتظاهر بأنه يكتب شيئا .. فقلت له :

- كيف حالك يامسستر ميكابور ؟

فقال بصوت حزين :

- مسستر كوبرفيلد .. ان مسستر ويكفيلد يرقد

ولكنى احذرك ياكويرفيلد .. ان هذا اللقاء سيكون  
بلا طائل .. انذا نفهم بعضنا جيدا .. ونكره بعضنا  
تماما .. والآن .. انصرف ياميكابوير .. وسنتحدث  
فى ذلك فيما بعد ! .. !

وفى هذه اللحظة وصل صديقى ترادلز وكان  
يصطحب معه مسز هيپ . فسأله يورياه :  
- من أنت ؟ ..

فاجاب تراداز :

- انا صديق لستر ويكفيلد .. وعندى السلطة  
لكى اتحدث باسمه !

وهنا تدخلت مسز هيپ قائلة :

- يورياه !

فاجاب يورياه نداء امه بصوت يخلو من الادب :

- اسكتى !

وفى الحال وقف مستر ميكابوير ، وامسك فى يده  
ورقة كبيرة الحجم ، وبنا يقرأ ما فيها :

- لماذا تنتظر هنا .. هيا اخرج الى مكتبك ..  
الا تسمعنى .. قلت لك اخرج من هنا ..

فقال مستر ميكابوير :

- حاضر !

ولكنه لم يتحرك من مكانه .. فقال يورياه بحدة :

- قلت لك اخرج .. ماذا تريد هنا ؟

فقال مستر ميكابوير بكل ثبات :

- اريد ان اخبرهم بانهم اذا كان هناك وغد واحد  
فى هذا العالم .. فان اسم هذا الوغد هو يورياه  
هيپ !!

وغاص يورياه فى مقعده كما لو كان قد تلقى ضربة  
قوية على راسه .. وشحب لون وجهه . ولكنه تماسك  
وقال :

- هى مؤامرة اذن ياكويرفيلد .. لقد رتبت امر  
هذا اللقاء بعد ان البت على موظف صغير عندى ..

وجدت أن جميع الخدمات التي يطلبها هيب منى هسى  
الاستمرار فى خداع مستر ويكفيلد بكل طريقة .

وتوقف مستر ميكاوبر عن القراءة لحظة قصيرة  
ليرى أثر ما قاله على السامعين . ثم استمر بعد ذلك  
فى القراءة :

... كان يغش مستر ويكفيلد بكل الطرق الممكنة  
فى نفس الوقت الذى كان يدعى فيه أن مستر ويكفيلد  
هو صاحب الفضل الأول عليه ويتظاهر بأنه أعز صديق  
له . وأخيرا تغير قلبى واستيقظ ضميرى لأجل خاطر  
مس ويكفيلد . وبدأت أراقب مايفعله هيب بطريقة  
سرية . وعرفت أن هيب كان يحصل على توقيع مستر  
ويكفيلد على بعض اوراق والمستندات المهمة ، مدعيا  
أنها أوراق عديمة الأهمية . بل لقد جعل مستر ويكفيلد  
يسحب مبلغ ألف ومائتى جنيه من حسابات بعض  
العلاء المودعة عنده بعد ان ادعى أنها مصاريف  
انفقت فى بعض الأغراض . وجعل الأمر يبدو كما  
لو كان مستر ويكفيلد قد سحب هذا المبلغ لنفسه .

« جميع أعمال مكتب ( ويكفيلد وهيب ) يقوم بها  
هيب . وهيب هذا مجرد لص . . . »

اندفع يورياه هيب نحوه مسرعا ، وحاول ان يخطف  
منه الورقة التي كان يقرأها . ولكن مستر ميكاوبر  
ضربه على يده . فسقطت يده الى جانبه كما لو كانت  
مكسورة . وصاح به هيب :

- فليأخذك الشيطان !

فرد عليه مستر ميكاوبر قائلا :

- اذا اقتربت منى مرة اخرى فسوف أكرس عنقك !

وعاود مستر ميكاوبر القراءة :

« كان يدفع لى اجرا ثابتا عبارة عن اثنين وعشرين  
شلنا كل اسبوع . اما بقية الأجر فكان يحدده حسب  
ما أقوم به من عمل . أو بمعنى آخر حسب ما أقوم  
به من أعمال سيئة خاطئة كان يحتاجها ويأمرنى بأدائها  
لخدمة أغراضه فى الغش والخداع . وكان يقرضنى  
النقود حتى أصبحت واقعا تماما تحت سيطرته . وقد

« ٠٠٠ » وعرفت أيضا أن هيب كان فى أحيان كثيرة يقوم بتزوير وتغيير بعض البيانات المدونة فى دفاتر الحسابات ٠٠ وعرفت كذلك انه جعل مستر ويكفيلد يوقع على مستند يثبت زورا انه اقترض مبلغا كبيرا من هيب ، فى حين أن مستر ويكفيلد لم يحصل على أى قرض منه ٠٠ هذا بالاضافة بأن لدى ورقة تثبت محاولات هيب فى تقليد وتزوير التوقيع الخاص بمستر ويكفيلد « ٠٠ »

قام هيب ، وأخذ مفاتيحه ، وفتح دولابا معيناً ، نظر بداخله ، ثم أغلقه ، واتجه نحونا مرة أخرى وهو يشعر بذل وانكسار ٠٠ فقالت امه تستعطفه وتحاول اقناعه :

– يورياه ٠٠ كن متواضعا وقم بتسوية الأمر معهم ٠٠ لقد أخبرنى مستر ترادلز بأنه عرف جميع هذه الأشياء ولديه كل المستندات ٠٠ ووعده بأنك ستكون متواضعا وسترد اليهم اموالهم ٠٠

واستمر مستر ميكاووبر فى القراءة :

« ٠٠٠ » واستطيع أن أثبت أن هيب قد أجبر مستر

وبهذه الطريقة الشيطانية سيطر تماما على مستر ويكفيلد وجعله طيعا يقبل كل شىء يراه ٠٠٠٠ « ٠٠٠ »

وهب يورياه هيب موجها حديثه الى :

– انك لن تستطيع اثبات ذلك ياكوبرفيلد !

واستمر مستر ميكاووبر فى القراءة :

« ٠٠٠ » كنت أعيش فى نفس المسكن الذى كان يعيش فيه هيب وتركه ٠٠ وهناك عثرت على بقايا دفتر صغير كان قد أحرقه ولكن بقيت منه بعض اجزاء لم تصل اليها النار ٠٠٠٠ « ٠٠٠ »

وهنا صاحت مسز هيب مولولة :

– يورياه ٠٠ يورياه ٠٠ كن متواضعا ٠٠ وحاول ان تصل الى تسوية هذا الأمر معهم !

فصاح بها يورياه :

– امى ٠٠ هل يمكنك ان تلزى الصمت ؟ !

واستمر مستر ميكاووبر فى القراءة :

ويكفيك حتى يصبح شريكا له في المكتب .. ووعده بأن يدفع له مبلغا معيناً كل عام .. ثم أخذ يقرض مستر ويكفيك بعض النقود .. وهذه النقود هي نقود مستر ويكفيك بكل تأكيد .. وبهذه الطريقة وضع مستر ويكفيك تحت سيطرته ..

وأنا أتعهد بأن أثبت صدق جميع هذه الحقائق .. وبعد هذا فإن على أنا وأسرتي التعيسة أن نختفي من على وجه هذه الأرض التي فشلنا فيها ، ولم نستطع أن نخدم أي هدف مفيد ! ..

وبعد أن انتهى مستر ميكابور من القراءة ، طوى الورقة التي يقرأ منها وأعطانا لعمتي .

وكانت هناك خزانة حديدية ضخمة قابعة في ركن الغرفة ، فقام يورياه هيب وفتحها وفوجيء بأنها خالية تماما فصاح :

– أين دفاتر الحسابات .. لابد أن أحد اللصوص قد سرقها ..

فقال مستر ميكابور :

– لقد أخذتها أنا .. !

وقال ترادلز :

– وهي عندي أنا .. !

وفجأة هبت عمتي واقفة ، واتجهت نحو يورياه ، وامسكت بتلابيبه ، وصاحت في وجهه :

– هل تعرف ماذا أريد ؟ .. أريد نقودي .. أريد أن تعيد لي أموالى !

ثم التفتت عمتي نحو أجنس وقالت :

– أجنس يا عزيزتى .. عندما خدعت وقيل لي انى فقدت أموالى بسبب يرجع الى مستر ويكفيك ، فانى لم اقل شيئا ولا نطقت بكلمة .. ولكن الآن عرفنا ان هذا الشخص هو الذى استولى على أموالى .. وسوف استردها منه !

وارتمى يورياه على مقعده ، وقال مستسلما :



اندفع مستر ميكابور الى داخل البيت ، وارتمى  
بين ذراعى زوجته وهو يحتضنها بقوة ويصيح :

- ايما .. لقد زالت الغمامة .. وارتاح عقلى  
وضميرى .. والآن مرحبا بالجوع .. ومرحبا بالثياب  
الرثة والهلهيل .. ان ثققتنا فى بعضنا سنتستمر  
الى النهاية !!

وقالت عمى :

- مستر ميكابور .. انى اتعجب لماذا لاتترك  
انجلترا وتذهب الى ارض جديدة اخرى .. الى استراليا  
مثلا ١٩٠٠ !

فقال مستر ميكابور :

- منذ مدة طويلة وانا احلم بذلك ( وانا على يقين  
من ان مستر ميكابور لم يفكر فى مثل هذا الموضوع  
من قبل ) .. ولكن هناك بعض الصعوبات .. !

فقالت عمى :

- النقود ؟ .. لقد اديت لنا خدمة عظيمة .. ومن  
واجبنا ان نتكفل بالنقود المطلوبة .. !

- وماذا تريدون ان افعل ؟ .. !

فقال ترادلز :

- ستوقع على مستند بالتنازل عن كل شىء لى ..  
وإذا لم توقع على هذا المستند ، فسوف يكون مصيرك  
الى السجن .

وهنا قامت مسز هيب باستعطاف اجنس لى  
تساعدهما وأن تكون رحيمة بهما . فقال يورياه :  
- اماه .. توقفى عن هذا الضجيج .. !

ثم التفت الى ترادلز وقال :

- أين هو المستند ؟ .. سأوقع عليه .. !!

\*\*\*

اعترفنا جميعا بفضل مستر ميكابور وصنيعه  
الجميل الرائع .. وكنا شغوفين بأن نوجه الشكر اليه ..  
ولذلك فقد ذهبنا معه الى بيته .. وكان مدخل البيت  
الذى يطل على الشارع هو نفسه المدخل الى غرفة  
الجلوس ..

- انى لا استطيع ان آخذ هذه النقود كهبة ..  
ولكن يمكنكم ان تفرضونى اياها ! ..

- طبما .. طبما ..

وهنا تساءلت مسز ميكاوير :

- فى بلد مثل استراليا .. هل يستطيع رجل له  
مزايا وقدرات مستر ميكاوير ان يجد فرصة للنهوض  
بمستواه ومستوانا .. انى لا اتوقع ان يصبح حاكما  
لاستراليا .. ولكنى اتساءل هل يجد الفرص التى  
تناسب مواهبه .. ؟!

فقالت عمى :

- ليس هناك مكان أفضل من استراليا .. فى  
توفير فرص النجاح أمام مستر ميكاوير ! ..

وخرجنا .. وخرج مستر ميكاوير معنا .. وبينما  
كنا نجتاز ساحة السوق .. لاحظت ان مستر ميكاوير  
قد تقمص شخصية مزارع استرالى .. وأخذ يتفحص  
قطمان الأغنام بعين خبيرة .. !

## ٤٠ - نهاية هيب

ذهبنا انا وعمى وأجنس الى كانتربرى لنعرف  
نتائج التصفية التى قام بها ترادلز لأعمال مكتب  
« ويكفيلد وهيب » . وكانت عمى تبدو فى حالة غير  
طيبة .. كانت شاحبة الوجه الذى ظهرت فيه خطوط  
حزن عميقة .. وكانت تبكى فى بعض الاحيان ،  
وتحاول ان تخفى دموعها بيدها ..

وعندما اجتمعنا مع ترادلز . قال بجدية :

- لقد تحسنت احوال مستر ويكفيلد .. وأصبح  
الآن قادرا على المساعدة .. بل ساعدنا بالفعل فى

### ثم التفتت اليها وقالت :

- عندما أبلغت بانى قد خسرت كل اموالى  
ظننت فى البداية ان مستر ويكفيلد قد استخدمها  
وخسرهما .. ثم خدعنى يورياه هيب وأرسل الى رسالة  
يقول فيها أن مستر ويكفيلد لص .. وانه هو الذى  
استولى على أموالى .. فذهبت اليه وزرته ذات  
صباح .. وأحرقت رسالته أمامه .. وقلت له اذا كان  
بوسعه أن يضع الأمور فى نصابها السليم فليفعل ،  
والا فعليه أن يلزم الصمت !

وبعد لحظة ، تساءلت عمى :

- وماذا حصل بالنسبة لهيب ..

- لا أعرف .. فقد اختفى ..

- والآن .. ماذا سنفعل بالنسبة لمستر  
ميكابور ؟

فقال ترادلز :

- فى الحقيقة ان مستر ميكابور يستحق الكثير

ايضاح الكثير من البيانات المدونة بالدفاتر .. وقد  
انتهينا الآن من وضع كل شىء فى نصابه السليم ..  
وخلصنا الى كل النتائج .. فبالنسبة الى موقف مستر  
ويكفيلد فهو غير مدين لأحد .. وتبقت له بضع مئات  
من الجنيهات يستطيع أن يواصل بها حياته .. أمميا  
بالنسبة لمس تروتورد .... فقاطعته عمى :

- لو كنت قد خسرت جميع أموالى ، فانى استطيع  
أن أتحمل ذلك .. واذا حدث العكس فسوف أكون  
مسرورة باستردادها ..

- لم نجد سوى خمسة .. ..

- خمسة جنيهاً .. أم خمسة آلاف ؟

فقال ترادلز :

- خمسة آلاف جنيه ..

فقالت عمى فرحة :

- هى كل النقود اذن ..

من الشكر والثناء .. لقد كان في وسعه أن يحصل  
من يورياه ميب على مبلغ كبير من المال مقابل سكوته ..  
وقد وجدت انه مدين بمبلغ مائة وثلاثة جنيهات وخمسة  
شلنات ...

**فقالت عمتي موجهة حديثها الى اجنس :**

- اجنس ياعزيزتى .. ماذا سنعطيه ؟ .. هل  
نعطيه خمسمائة جنيه .. ؟ !

**فقال تراندلز :**

- اعتقد أن من الأفضل أن نشترى له تذاكر السفر  
الى استراليا بالاضافة الى مبلغ صغير لتغطية نفقاته ..  
واستدعينا مستر ومسز ميكاوبر الى الحجرة ..  
وأخبرتھما عمتي بما قررناه ..

**وقلت مستر ميكاوبر :**

- والآن أريد أن انصحك .. لاتدع أحدا يفرضك  
نقودا مرة أخرى !

**فقال مستر ميكاوبر :**

- ابدا .. لن أفعل ذلك .. وسوف أكتب هذا  
القسم على صفحة بيضاء فى حياتى المستقبلية ..  
وسأجعل ابنى ويلكينز يتذكر دائما أن من الأفضل له  
أن يضع يده فى النار ، ولا يمدھا الى هذه المخلوقات ..  
هؤلاء الذين يقرضون النقود .. هؤلاء الذين سموا  
دم أبيه التعيس .. !

واشتد تلبد السماء بالفيوم والسحب .. بل  
واخذت السحب المتطايرة تتراكم فوق بعضها كالجبال  
الشاهقة .. وكان القمر يبدو أحيانا من بين فرجات  
السحب وكأنه قد فقد طريقه وتاه وأصابه خوف  
.. عارم ..

أما الرياح فقد أخذ هبوبها يشتد ويعنف لحظة بعد  
أخرى .. وكانت تحدث أصواتا غريبة ومخيفة أحاطت  
بكل شيء ..

وكلما أوغل الليل كلما تكاثفت أطباق الظلام ..  
وتراكت جبال السحب وغطت السماء كلها واختفى  
وجه القمر ..

وحيثما اشتد هبوب الرياح أصبحت الخيل لاتقوى  
على جر العربة .. وكانت تدير رؤوسها لتتجنب  
صفعات الرياح .. بل وكانت تتوقف في أحيان كثيرة  
دون أن تقوى على مواصلة السير .. وأصبحنا نخشى  
أن تنقلب بنا العربة ..

وبالرغم من بداية ظهور تباشير الصباح ، إلا ان

## ٤١ - العاصفة

كنا في بداية المساء حين ركبت إحدى العربات  
أخذا طريقى إلى يارموث . وقلت لسائق العربة وأنا  
أنامل السماء :

- ألا تعتقد أن الجو غريب جدا ؟ .. لا أتذكر انى  
شاهدت جوا مثل هذا من قبل ..

فقال سائق العربة :

- ولا أنا يا سيدي .. فهذا الجو ينفر بهبوب  
عاصفة شديدة .. وبالطبع سيثور البحر ويهيج  
وستحدث بعض الحوادث .

هدير الأمواج الصاخبة .. وهى تعلو فوق الشاطئ  
كما لو كانت أبراجا أو بنايات مرتفعة .

ورثت اقامتى بفندق صغير قديم .. ثم خرجت  
متجها صوب الشاطئ .. وهناك رأيت نصف سكان  
المدينة متجمعين .. وكثيرا من النساء كن يبكين بسبب  
عدم ظهور قوارب الصيد التى يعمل عليها أزواجهن  
بداخل البحر .. وكان قدامى البحارة يهزون رؤوسهم  
فى يأس وهم ينظرون الى كل من البحر والسماء ..  
وكان ملاك السفن والقوارب ينظرون صوب البحر  
وقد عصف بهم الاضطراب والقلق ..

وكاد الحصى والرمال المتطايرة أن يعمى عيني ..  
وكاد هدير الموج أن يغمى أذنى .. وكاد البحر أن يخرج  
من شاطئه ليبتلع المدينة بمن فيها .. وفجأة أشار أحد  
الملاحين .. ورأيت .. ويالاهول مارأيت .. رأيت سفينة  
تتحطم والأمواج تهاجمها من كل جانب !

كان أحد صواري السفينة قد تحطم ولكنه مازال  
متعلقا بجانب السفينة ويتخبط فيها بقوة .. ورأيت

الرياح واصلت هبوبها العنيف وأصبحت أقوى من ذى  
قبل .. لقد رأيت عواصف كثيرة ولكنى لم أشاهد  
عاصفة مثل هذه ..

وصلنا متأخرين جدا الى ابسويش بعد أن صارعنا  
الرياح طوال رحلة مرهقة .. ورأينا الناس قد تجمعوا  
فى ساحة السوق بعد أن غادروا بيوتهم خوفا من سقوط  
الداخن .. وبينما كان سائق العربة يستبدل الخيل بخيل  
أخرى .. سمعت الكثير من أخبار أسقف البيوت التى  
تطايرت وتحطمت .. والأشجار الكبيرة والصغيرة التى  
اقتلعت وسقطت على الأرض ..

وواصلنا الرحلة وسط هذه العاصفة العنيفة ..  
والتي كانت تزداد عنفا وتدميرا كلما مر الوقت واقتربنا  
من سواحل البحر الذى تهب منه كل هذه الرياح الثائرة ..  
وبالرغم من أننا كنا لم نزل بعيدين عن الساحل بمسافة  
طويلة .. الا أننا احسنا بملح البحر فوق شفاهنا ..  
وانهمر مطر من الماء المالح فوق رؤوسنا ..

وعندما لاح لنا ساحل البحر أخيرا .. سمعنا

بعض الرجال على ظهر السفينة وهم يحاولون فصل  
الصارى عن السفينة والقائه فى البحر .. ورأيت  
بينهم رجلا مجعد الشعر ..

وفجأة سمعت صرخة مدوية اطلقها كل التجمعين  
على الشاطئ .. صرخة غطت على هدير الموج وزئير  
الرياح .. لقد طفى البحر على حطام السفينة ، وقذف  
بالصارى وبكل ماعليها من اشياء ومن عليها من  
الرجال .. فى المياه الماثرة بكل عنف .. والتي كانت  
تبدو كما لو كانت تفور وتغلى ..

وعندما انزاح الموج عن الحطام ، رأينا السفينة  
وقد انكسرت فى منتصفها .. ورأينا أربعة من الرجال  
مازالوا متعلقين بالصارى الثانى الذى ظل يتأرجح  
ويعلو ويهبط مع كل موجة .. ورأيت بين الرجال الأربعة  
الرجل المجعد الشعر .

وكان هناك جرس مازال معلقا بالجزء المتبقى من  
حطام السفينة .. وكان يندق بعنف واضطراب كلما  
هبت موجة تقرب الحطام من الشاطئ ، وكلما انزاحت

موجة تبعد الحطام الى داخل البحر .. كان دق الجرس  
أشبه بنذير الموت لهؤلاء الرجال التمساء الذين مازالوا  
يكافحون ويحاولون التمسك بالحياة .

وهبت موجة عاتية وغطت الحطام كله .. ثم  
انزاحت بعد أن أخذت معها اثنين من الرجال الأربعة ..  
فصرخ كل التجمعين على الشاطئ ولولوا .. وأدرات  
النساء وجوههن وهن يصرخن ويبكين .. كما أخذ بعض  
الرجال يجرّون نهابا وجيئة على الشاطئ وهم  
يصرخون لطلب المساعدة .. ولكن أية مساعدة تلك  
التي يمكن أن يقدمها أحد فى مثل هذه الأحوال !

كان من المستحيل تماما أن يرسل أى قارب  
للنجدة .. وكان من الجنون أن يسبح أحد ومعه حبل  
ليوصله بين الحطام والشاطئ .. ومع ذلك فقد رأيت  
بعض الرجال يستعدون لعمل شيء .. وكان هام فى  
مقدمتهم .

رأيت فى وجهه مزيجا من ملامح الحزن ولامح  
التصميم والعزم .. وفهمت انه مقبل على مواجهة

الشكل ظل يلوح به كما لو كان يتوسل الينا لنجدته ..  
وقد ذكرنى هذا الكاب الأحمر بصديق قديم كان يرتدى  
مثله ..

نظر هام الى البحر .. وعندما انحسرت موجة  
كبيرة عاتية ، اخذ يجرى وراءها .. وفى لحظة واحدة  
اصبح هام يصارع الأمواج .. يعلو فوق قممها ويهبط  
مع وديانها .. ثم قذفته موجة قوية نحو الشاطئ ،  
فجذبه الرجال نحو الرمال ..

كان من الواضح انه اصيب .. ورايت الدماء  
تغطى وجهه .. ولكنه لم يهتم بذلك بل وطلب من الرجال  
أن يرخوا الحبل ليتيحوا له مزيدا من الحرية للتوغل  
الى داخل البحر حتى يصل الى الحطام لينقذ الرجل ..  
ثم قذف نفسه بين أحضان الموج مرة أخرى ..

اخذ يسبح نحو الحطام بكل قواه .. وكنا نراه  
يعلو ويهبط مع حركة الموج . وما كاد أن يصل الى  
موقع الحطام ويمسك به ، حتى رأينا موجه خضراء  
عالية كالجبل ، جاءت من خلف الحطام وارتفعت

أخطار قد يلقي فيها حتفه .. لذلك فقد اندفعت اليه  
وأحطته بذراعى لكى أمنعه من الاقدام على تلك  
المخاطرة .. وتوسلت الى الرجال المجتمعين حولنى  
وحوله أن يمنموه من مغادرة الشاطئ ..

ثم ارتفعت صرخة عالية ، فنظرت صوب الحطام ،  
فرايت جزءا من الشراع قد هوى وسقط فى البحر .  
أخذا معه واحدا من الرجلين الباقيين .. وهكذا لم  
يصبح على الحطام الآن سوى رجل واحد مازال متمسكا  
ببقايا الصارى ..

وهنا قال لى هام متوسلا :

- مستر دافيد .. لو كان عمرى قد انتهى فهو  
قدرى المكتوب .. ليباركك الله .. دعنى اذهب !  
وأحضروا له حبلًا طويلا ، ربط أوله حول خصره .  
وكان الحطام يعلو فوق قمم جبال الموج ، ويهبط  
بعنف الى وديانها .. وكان الرجل الباقي عليه مازال  
متشبها بالصارى .. وكان يرتدى كابا احمر غريب



فوقه ٠٠ وفي لمح البصر غاص الحطام في اعماق  
البحر .

تكاتف الرجال واخذو يسحبون الحبل ٠٠ وفي  
لحظات وصل هام مسحوبا الى الشاطئ ٠٠ وكان جثة  
هامدة ٠٠ لقد لطمته الموجة الخضراء بضربة قاتلة  
اطاحت بحياته ويكل الشجاعة التي كانت تملأ قلبه .  
وحملناه الى منزل قريب وبقيت الى جواره ، وعقلى  
مفعم بكل الذكريات التي عرفتها عن هذا الرجل الطيب  
الشجاع .

وبينما كنت جالسا بجوار سرير هذا الفقيد  
العزیز ، سمعت طرقا على الباب ، ودخل اهد الصيادين  
يفاديني باسمي :

— مستر كوبر فيلد ٠٠ هل يمكن ان تحضر معي ؟  
واحسست ان مصيبة اخرى قد وقعت واستندت  
الى ذراع الرجل وسالته بصوت ضعيف وهزين :

— هل لفظ البحر جثة اخرى ٠٠ ؟

— نعم ياسيدي ٠٠

— وهل هي لشخص اعرفه ٠٠ ؟

ولم يجب الرجل بكلمة ٠٠ وقادني متانيا نحو  
الشاطئ حتى وصلنا الى نفس المكان الذي كنا — انا  
واميلي — نجمع فيه القواقع ٠٠ وهناك بين اطلال  
البيت القديم الذي اساء الى اهله ، رأيته معددا على  
الأرض ، ورأسه مسنودة على ذراعه ٠٠ تماما مثلما  
كان يفعل أيام المدرسة ٠٠ كانت الجثة لصديقي  
القديم ٠٠ ستيرفورث !!

وطافت بظاهري ذكرى آخر لقاء معه ٠٠ وتذكرت  
بوضوح آخر كلماته : « اذا فرقت بيننا الظروف ٠٠  
فارجو ان تذكر حسناتي ! » .

وهذا ماسوف احافظ عليه الى الابد ٠٠ ا

فهمست بصوت حزين :

- لقد مات !!

فصاحت الام :

- روزا .. الحقينى !

فلحقتها روزا على الفور .. ولكن بدون شفقة  
ولا رحمة .. وكانت عيناها تتوهجان بشرر كالنار ،  
وصرخت فيها قائلة :

- والآن .. هل ارتحت .. هل ارضيت غرورك  
وفخرك بابنك .. ايتها المرأة المجنونة .. !؟

ارتمت مسز ستيرفورث على مقعدها تحملق فيها  
بعينين مفتوحتين عن آخرهما .. وواصلت مس دارتل  
صراخها الملتاع ، وهى تدق بيديها على صدرها ،  
وتشير الى ندبة الجرح الظاهرة فى وجهها :

- انظرى ماذا فعله ابنك فى وجهى .. ثم نوحى  
بعد ذلك وولولى .. ايتها الام الفخورة بولدهما

## ٤٢ - ابلاغ الخبر الى مسز ستيرفورث

وصلت قرب الظهر الى هاى جيت . وفتحت لى  
خادمة صغيرة باب البيت . سألتها :

- انى أحمل اخبارا سيئة الى مسز ستيرفورث ..  
هل هى موجودة الآن ؟ .. ؟

فى هذه اللحظة كانت الأم موجودة فى غرفة  
ابنها .. وبجانبها كانت تقف روزا دارتل . وتساءلت  
الأم فى قلق :

- هل هو مريض ؟ .. هل رأيته ؟ .. هل عدتما  
اصدقاء كما كنتما من قبل .. ؟

ولكن مسز ستيرفورث كانت جالسة على مقعدها  
دون حركة .. كانت جامدة كتمثال نحت من الحجر ..  
وبسدت مس روزا دارتل تفك بعض الازرار وتخفف  
أربطة ملابس الأم لتساعدما على التنفس .. والتفتت  
الى وصرخت فى وجهى :

- عليك اللعنة .. كانت ساعة شر سوداء حين  
جئتنا فى هذا البيت .. عليك اللعنة .. هيا اخرج  
من هنا .. !!

واخذت مسز ستيرفورث بين ذراعيها .. تقبلها  
تارة ، وتناديها باسمها تارة اخرى .. وتحاول بكل  
طريقة أن تفيقها من غشيتها .. أو تميد اليها انفاس  
الحياة ..

الشرير ! .. انت التى دفعته الى طريق الشر والضياع ..  
كنت احبه اكثر منك .. احبه دون مقابل ودون أمل أو  
رجاء .. واحبنى هو عندما كان بريئا وصادقا مع  
نفسه .. وبعد ذلك أصبحت مجرد العوبة يلهو بها  
كلما وجد ساعة فراغ يريد أن يقضيها فى اللذة  
والمتعة .. كان يسحبني الى هنا أو الى الطابق العلوى  
ويلهو بى وفق هواه .. لقد أصبحت بالنسبة لكما  
انتما الاثنين مجرد شئ مكسور لافائدة فيه وعديم  
القيمة !!

قلت استعطفها واحاول أن اهدىء روعها :

- مس دارتل .. ارجو أن تقدرى شعور واحزان  
أم فقدت ابنها الوحيد ! ..

فصرخت قائلة :

- ومن ذا الذى يقدر شعورى واحزاني ؟ !

- ولكن فى مثل هذه اللحظة يجب ان تنسى كل  
الاساءات .. يجب ان تمدى يدك لمعاونة الأم الثكلى  
فى تحمل احزانها ! ..

واستقبلنا مستر بيجوتى الذى كان يقف على  
سطح السفينة بجوار السور .. وقال لنا أن مستر  
ميكاور قد قبض عليه منذ لحظة للوفاء بدين لأحد  
الدائنين .. ولكنه استطاع أن يدفع مبلغ الدين فاطلق  
سراحه .

وفى مكان منزو قريب على سطح السفينة لمحت  
اميلى جالسة مع ابناء مستر ميكاور .. ورأيت اجنس  
تحببها وتودعها بقبلة ! .. كما رأيت مسز جاميدج  
وهى ترتب حاجيات مستر بيجوتى بمعاونة بعض  
الشابات الصغيرات .

ونودى على كل المودعين والزوار بأن يغادروا  
السفينة بعد أن حل وقت الرحيل .. وقمت بتوديع  
المهاجرين الوداع الأخير .. وكانت بيجوتى تبكى وهى  
متعلقة بذراعى ..

ونزلنا الى القارب الذى عاد بنا الى الرصيف ..

### ٤٣ - واقلت السفينة

ذهبت انا وبيجوتى - مريبتى العجوز المخلصة -  
الى جريفسند لتوديع عائلة ميكاور المهاجرة الى  
استراليا .. وكان مستر بيجوتى قد انتوى الهجرة  
ايضا واستعد للرحيل على نفس السفينة .

وعندما وصلنا الى الرصيف ، رأيت ابناء مستر  
ميكاور وهم يتعلقون بذراعى اجنس حتى آخر لحظة ..  
واخذنا قاربا صغيرا اتجهنا به صوب السفينة التى  
كانت تقف بعيدة عن الرصيف ..

وكانت أشعة الشمس الغاربة تنعكس في جمال رائع  
فوق صفحة المياه الهادئة ..

وماد الصمت لحظة .. ثم فردت السفينة قلوبها  
واشرعتها في مواجهة الريح .. وبدأت تتحرك ببطء  
صوب البحر الواسع العريض .

## ٤٤ - الفصل الأخير

سافرت بعد ذلك في رحلة طويلة زرت فيها إيطاليا  
وفرنسا وسويسرا .. ثم عدت الى الوطن ..

توجهت فوراً الى بيت عمتي في دوفر حيث  
استقبلتني هي ومستر ديك وبيجوتى التى أصبحت الآن  
مديرة للمنزل .. استقبلونى جميعاً بفرح عظيم والدموع  
تترقق في عيونهم ..

وظللت أتحدث مع عمتي حتى الليل .. وفجأة  
سألتنى عمتي :

- ومتى ستسافر الى كانتربرى ؟

فاجبتها :

- سأسافر صباح الغد ٠٠ !

وجلست صامتة مستغرقة في التفكير العميق وأنا  
أحلق في نار المدفأة ٠٠ كنت أشعر بالأسف والحزن  
بسبب ما فعلت في معرفته والاحساس به والتنبه اليه  
في أيام صباى الماضية .

وخيل الى انى اسمع صوت عمى وهى تعتب على  
قائلة :

- اوه ياتروت ٠٠ انت اعمى ٠٠ اعمى ٠٠  
أعمى ٠٠ !

ثم قالت عمى وكأنها تفهم مشاعرى وتحس بما  
يبدور فى نفسى وقلبى :

- اذهب اليها ٠٠ ستجد اباها وقد خط المشيب شعر  
رأسه ٠٠ وستجدها جميلة متألقة ٠٠ كريمة غير انانية  
كما كانت دائما ٠٠ !

٣١٨

فسالت عمى مترددا :

- هل لأجنس ٠٠٠ ٠٠٠

- لها ماذا ؟ ٠٠

- عاشق يحبها ٠٠ !؟

فصاحت عمى :

- لها عشرون ٠٠ كان فى امكانها ان تتزوج  
عشرين مرة !!

- ولكن هل بينهم عاشق جدير بها ويستحقها ٠٠  
وهل هى تحب احدا بعينه ؟ !

فقالت عمى متنهدة :

- اعتقد أنها تحب واحدا بعينه ٠٠ هى لم تخبرنى  
بأى شىء عن حبها ٠٠ ولكنى اعتقد ذلك ٠٠ !

وفى الصباح الباكر وصلت الى كانتربرى ٠٠  
وفتحت لى الباب خادمة جديدة لاتعرفنى : قلت لها :

- اخبرى مس ويكفيك ان خييفا وصل ويريد ان  
يراها ٠٠

٣١٩



أجنس ودافيد .

وبعد قليل فتح باب الحجرة ودخلت/ أجنس بكل  
جمالها ووداعة عينيها . واتجهت نحوى وهي تضع  
يدها على قلبها من وقع المفاجأة . قلت لها :

- أجنس يا عزيزتى .. أرجو ان تكون مفاجأة  
طيبة لك ان ترينى هنا ..

- انى فى غاية السرور لرؤيتك ياتروتود !

وجلسنا جنبا الى جنب .. كانت صادقة كما  
كانت ابدا .. جميلة .. وطيبة .. وحاولت ان أشكرها  
على كل ماصنعته فى الماضى من اجلى .. وقلت لها  
فى النهاية :

- والآن يا أجنس .. اخبرينى عن نفسك ..

فقالت بهدونها المعتاد :

- ماذا اخبرك به ؟ .. ان أبى فى حالة طيبة ..  
وما انت ترانا نعيش فى بيت ملكنا ! .. يدو أنك تفكر  
فى شىء ما ياتروتود ..

وقلت لها :

- أجنس .. دعيني أقول الآن ما أفكر فيه .. لقد  
جئت لأخبرك بانى علمت انك تحبين شخصا ما ..  
وأرجو الا تخفى عنى أى شىء يتعلق بسعادتك  
القريبة .. من هو ذلك الشخص .. أخبرينى باسمه  
إذا كنت مازلت تثقين بى .....

وفجأة ، هبت أجنس واقفة وهى تخفى وجهها  
بيديها وانفجرت فى البكاء بدمع غزير فاض من  
عينها .. وكاد قلبى أن يتمزق وأنا أسالها فى حيرة  
ولوعة :

- أجنس ياعزيزتى .. ماذا فعلت حتى تبكى هذا  
البكاء كله ١٩٠٠

فقالته وقد ازداد بكاؤها وانهمار الدموع من  
عينها :

- أرجوك ياتروتوتود .. دعنى اذهب الآن ..  
انى لست فى حالة طيبة .. وسوف نتحدث عن ذلك  
فيما بعد .. !

٣٢٢

وأخذتها بين ذراعى وهمست :

- أجنس ياحبى .. انت أملى .. وانت خير عون  
فى حياتى .. !

وارتاحت أجنس على صدرى .. قريبة من قلبى ..  
ووضعت يدها الرقيقة على كتفى .. وتلألأت عيناها  
من وراء الدمع بنظرات حلوة حنون ..  
وقلت لها بكل الصدق :

- فى أى مكان كنت اذهب اليه ياأجنس كنت  
أشعر بدبيب حبك فى قلبى .. لقد سافرت بعيدا لأنى  
أحبك .. وعدت الآن اليك لأنى أحبك أكثر وأكثر ..

وضعت كلتا يديها الرقيقتين على كتفى .. ونظرت  
الى بوجهها الهادى الجميل الرائق .. وقالت :

- هناك شىء أريد أن أخبرك به ..  
- ماهو ياحببتى ؟ .. أخبرينى !!  
- لقد أحببتك طوال حياتى .. !!

٣٢٣